المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي، يصدرها مكتب الاعلام والنشر في القيادة القومية

العددان: ٢٠٨ - ٢٠٩
آذار - حزيران - ١٩٨٧

المناضل

المحتويات

« المناضل ص.ب — ١١٥١٢ — دمشق »

المحتويات

« المناضل ص . ب – ١١٥١٢ – دمشق »

الافتتاحية

نظرة معاصرة لمعركة تاريخية

الرفيق الدكتور فواز صياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

في مطلع شهر تموز هذا العام تمر بالامة العربية ذكرى مرور ثمانمئة عام على معركة حطين العظيمة تلك المعركة التي كانت بداية تحول هام في تاريخ الوطن العربي والعالم المعروف آنذاك ، فهي رغم انها لم تحرر الارض العربية من الغزوة الصليبية لكنها كانت بداية انحسار لتلك الغزوة وبداية التراجع الصليبي في المنطقة العربية عامة وفلسطين خاصة .

وكما هو حال الوطن العربي اليوم وبعد مرور اربعين عاما على الغزوة الصهيونية وعشرين عاما على احتلال كامل فلسطين واجزاء اخرى من الوطن العربي كان حال الامة العربية قبل ثمانمئة عام من الانقسام والتضارب والولايات المتناحرة والتشتت القومي الذي يبعث على الياس احيانا ويدفع بذوي القلوب الضعيفة والنفوس

المريضة وقصيري النظر الى عقد الاتفاقات وتوقيع المعاهدات مع الاعداء ، فنذكر وقائع الحروب الصليبية وتاريخ الامارات الصليبية في الوطن العربي فنذكر كذلك ضعف الولاة والقادة والحكام المهزومين امام تلك الغزوة الذين استسلموا لارادة الغزاة ، وعقدوا معهم الصلح والمعاهدات والمواثيق ، وتعاملوا تماما كما يتعامل بعضهم اليوم مع الغزاة الصهاينة ويعقدون معهم الصفقات والمعاهدات المشبوهة والمذلة ، وكما هو حال بعضهم الاخر الذين يستقبلون قادة العدو او يلتقون معهم خفية وعلانية كان حال بعضهم منذ اكثر من ثمانمئة عام . وكما هو حال دولة الغزاة اليوم التي تتلقى الدعم من العالم الغربي بمعظمه كان حال امارات وممالك الصليبيين بالامس حيث كانوا يتلقون الدعم والمساندة بالمال والرجال من دول العالم الغربي بمعظمها في تلك الايام .

وكما ان دولة الاحتلال باستقدامها المهاجرين من جميع اجزاء العالم اليوم ، لتعزيز قدراتها البشرية والمادية كان حال ممالك الصليبيين بالامس .

وقد كان حال الوطن العربي آنذاك كحاله اليوم فبعد ضعف الدول المركزية القوية تشتت الولايات والحكام وعملت القوى الخارجية على استقطاب بعضهم ومما زاد في التمزق تماما كما هي الحال اليوم . بعدما استطاع الاستعمار تجزئة الوطن واستقطاب عدد من دويلاته .

ان الادعاءات الراهنة لدولة الصهاينة بالحق التاريخي وارض الميعاد ومن النيل الى الفرات وضرورة تحريرها من «الاحتلال العربي» يذكرنا تماما بادعاء صليبيو الامس بالارض المقدسة وضرورة تخليصها من « الاحتلال الاسلامي » .

وبنظرة فاحصة الى الاهداف التي ذكرها البابا اربان الثاني عندما دعى الى الاجتماع العام لرجال الدولة والكنيسة في مجمع كليرمونت في نهاية عام ١٠٩٥ م والتي بنتائجها اتخذ قرار بدء

الحروب الصليبية توضح لنا ان من ابرز تلك الاهداف لها هي السياسية والاقتصادية وذلك لتوسيع رقعة الممالك والامارات الاوروبية التي كان حكامها يتنازعون على الارض والسيادة والموارد الاقتصادية التي تتبع ذلك حيث قال لهم البابا في خطابه الشهير آنذاك « ليس بوسعكم ان تدبروا في هذه البلاد الطعام للسكان ، وهذا السر في انكم تستهلكون سلعها ، وتشنون فيما بينكم حروبا لانهاية لها » .

لهذا وفي بداية الحروب الصليبية كان لابد للحملات الاولى ان توقع الخراب والدمار وتشن الحملات على امارات مسيحية اخرى في اوربا وان تشتبك مع الامبراطورية البيزنطية بحروب قاسية بسبب النزعات والاهداف التي ذكرتها قبل ان تصل الى الارض الفلسطينية المقدسة . كما ان بعضا من الحملات الصليبية توجهت الى مناطق لم تكن تقرب من فلسطين واقامت فيها دويلات صليبية كالرها وشمال سورية ومصر وغيرها حتى ان بعضها توجه الى مناطق غير عربية كقبرص مثلا لانشاء دويلاتهم هناك .

كما ان نظرة كاملة الى الاهداف الصهيونية التي ارساها المؤتمر الصهيوني الاول في بال عام ١٨٩٧ وما قبله خصوصا دعوات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وجلب المهاجرين من انحاء العالم المختلفة للاستيطان في فلسطين بواسطة عناصر اجنبية غريبة عن المنطقة وتاريخها وسكانها تبين لنا بوضوح تام التماثل الكبير بين اهداف الحملة الصليبية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاهداف الصهيونية التي ذكرها مؤسسو الحركة الصهيونية . كما ان تاريخ الغزوة الصهيونية للوطن العربي لم يقتصر على حروبها مع العرب بل امتدت الى قتال غيرهم كانجليز مثلا ابان الانتداب البريطاني على فلسطين على الرغم من تعاونهم معهم ومنحهم وعد بلفور الشهير باقامة وطن قومي للصهاينة في فلسطين .

كما ان اعمال القتل والذبح والبطش والتنكيل التي اقترفها الصليبيون خصوصا مذابح بيت المقدس عند الاستيلاء عليها عام ١٠٩٩ م لا تتغير في اسلوبها وغاياتها وعناصرها الاساسية عما ارتكبته عصابات الغزو الصهيوني في فلسطين اعوام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وكذلك عندما غزت لبنان عام ١٩٨٢ ومذابح صبرا وشاتيلا والمناطق الجنوبية الاخرى شاهدة على ذلك .

اننا بذكرنا تلك الاستشهادات التاريخية وتقديم هذه الامثلة المقارنة لاهداف الحملة الصليبية السابقة واهداف الصليبية الصهيونية الجديدة واستعراض سريع لواقع الوطن العربي انذاك من حيث التجزئة والتناحر وسيطرة بعض العناصر الشعوبية وغير العربية واختلاف اهداف حكامه ، وحال الوطن اليوم الذي يشهد واقعا مماثلا تقريبا والنتائج التي انتهت اليها الحروب الصليبية بعد معركة حطين كما ذكرنا بانها كانت بداية انحسار تلك الغزوة وانهيارها اخيرا اننا بذلك نؤكد ان معركة واحدة مهمة وحاسمة لدولة الغزو الصليبي الصهيوني المعاصر كفيلة ان توحد الامة وتعيد جمع شتاتها وتنعش في نفوس ابنائها العزم والثقة بحتمية الانتصار .

وتدلنا كذلك على الحكام المعاصرين الذين وقعوا اتفاقات المذلة مع العدو كانما لم يقرأوا تاريخ امتهم ولم يتعظوا من النتائج التي اكدتها المواثيق القديمة مع الصليبيين ولا نتائج الحملات الصليبية المختلفة .

ان قيادة واعية مخلصة بعيدة النظر مستلهمة لاهداف الجماهير وتطلعاتها ، آخذة تاريخها بعين الاعتبار ، مسترشدة به ، وواضعة نصب عينها الاهداف البعيدة لتلك الامة متمسكة بالحق التاريخي والقومي والشرعي مثل تلك القيادة كفيلة بدحر ما يحيط بهذه الامة من ظلام التقاعس والتشتت والانهيار والتنافر ، لان هذه الحالة لا تمثل مطمح

الجماهير بل تمثل ضعف نفوس الانظمة والحكام الذين ابتعدوا عن اهداف الامة وآمالها وطموحها الذي تمثله قيادة تاريخية واعية كما ذكرنا .

لذلك فعندما يقف حزب البعث العربي الاشتراكي الموقف المبدئي والثابت فيما يتعلق بالصراع العربي الصهيوني فانما يمثل بذلك طموح اوسع الجماهير العربية من المحيط الى الخليج مستلهما التاريخ ، والحضارة ، والامال . ومستشرفا المستقبل وبما يحمله لابناء هذه الامة .

لقد ربط الحزب قضية الوحدة العربية واولويتها بقضية كفاح الجماهير من اجل التحرير لكامل التراب العربي ربطا محكما لايمانه بان الوحدة وتحقيقها كفيلان بحل اية مشكلة يمكن ان تواجه الامة العربية بما فيها مشكلة الاحتلال الاستيطاني لفلسطين . ان مقولة النضال من اجل الوحدة هو نضال من اجل التحرر مقولة صحيحة اثبتتها وقائع التاريخ كما تثبتها وقائع الحياة المعاصرة اليوم . ان واقعا كالذي نعيشه والذي يبدو لبعض المتخاذلين انه قدر لا مفر منه هو في نظر الحزب ومناضليه واقع مهزوز لا يستطيع ان يقاوم عزم الجماهير ومقدرتها على تجاوزه عندما تتوافر لها القيادة التاريخية وهذا مايحاول الحزب بقيادة الرفيق الامين العام ترسيخه وتحقيقه .

ان ذكرى معركة حطين وما تمثله بمقدماتها ونتائجها لا يبتعد كثيرا عما نحن فيه اليوم .

دراسات سياسية

ماذا عن المؤتمر الدولي ؟ ..

الرفيق ياسين سلمان

لا شك أن فكرة المؤتمر الدولي ، للسلام في الشرق الاوسط ، تكتسب هذه الايام اهمية متزايدة، على صعيد النشاطات الدبلوماسية والسياسية العالمية . **فمنذ وقت قريب وافق البرلمان الاوروبي** على بيان وزراء خارجية السوق الاوروبية المشتركة الداعي لحل مسالة الشرق الاوسط في اطار مؤتمر دولي ترعاه الامم المتحدة . وقبل ذلك كان **قرار مؤتمر القمة الاسلامي في الكويت ، وقرار وزراء خارجية دول عدم الانحياز** ، الصادر عن اجتماعهم في هراري ، والذي لعب دورا تحريضيا مهما في اعادة طرح حل هذه المسالة في نطاق مؤتمر دولي ترعاه الامم المتحدة . وبين بين عقدت لقاءات ثنائية وجماعية ومؤتمرات دولية مهمة طالبت جميعها بالمؤتمر الدولي لحل مسالة الشرق الاوسط .

غير ان هذه النشاطات جميعها لم تذهب او ربما لن تصل ، الى مستوى هذا القدر الكبير من التفاؤل الذي تصوره اجهزة الاعلام العالمية ، والغربية منها خاصة ، **التي تحاول اقناع الراي العام بان هناك اتفاقا تم عقده « بين الكبار » يقضي بتسوية مسالة** الشرق الاوسط في نطاق **«يالطا جديدة»** .. وماعلى الاطراف المعنية بالصراع **— على حد تعبير اجهزة الاعلام هذه —** الا ان تتحرك قليلا لتجد نفسها اخيرا تنعم بالسلام الذي افتقدته طيلة اربعين عاما .

الا ان التوجه نحو السلام ، او الحلول الوسط ، او الحلول عامة كما هو معروف في بدهيات السياسة لا بد ان يكون محصلة للتبدلات والتغيرات في موازين القوى على الصعيدين الاقليمي والعالمي .. وليس لاية اسباب اخرى مهما بدت هذه الاسباب موجبة في الصياغات الصحفية والدبلوماسية .

فهل طرات حقا متغيرات جدية في موازين القوى ، كان من شانها ان تحمل الولايات المتحدة الامريكية و « اسرائيل » على القبول بالمؤتمر الدولي والتخلي عن الصفقات المنفردة ، التي كانت شكلا للسلام الذي يمكن ان يقوم **بين الغالب والمغلوب ؟!** .

هل حدثت تبدلات امريكية اسرائيلية دفعت الى تبدلات في الموقف الاستراتيجي الامريكي الصهيوني حيال الشرق الاوسط ؟!

او ان هناك مناورة جديدة يراد لها ان تكون ستارا لمواصلة السلام الامريكي الاسرائيلي ، الذي يحظى بقدر اكبر من **دعم الرجعية العربية** ! لنحاول مناقشة المعطيات التي بين ايدينا ، بما يمكن ان يشكل جوابا على هذه التساؤلات ، وبعيدا عن التنبؤات او التفاؤل او التشاؤم ، الذي ربما يهدف الى غاية اخرى وهي الضياع والنسيان والتعلق بما يأتي من القصف الاعلامي المستمر صباح مساء .

ولنبدأ بسؤال ، يبدو بديهيا بعض الشيء للوهلة الاولى ، وهو اين هو الموقع الامريكي ؟ وباختصار يمكن القول : ان الولايات

المتحدة الامريكية استغلت وهيمنت وخربت واستعمرت واستطاعت في النهاية ان تحول منطقة الشرق الاوسط الى برميل بارود ، وأن سياستها تجاهنا ، المعبر عنها بما يسمى « **العالمية الجديدة** » تقضي باجتثاث حركة التحرر الوطني وجميع الانظمة التقدمية المعادية للامبريالية في العالم الثالث ، وهي تدفع باتجاه بسط هيمنتها المطلقة على منطقة الشرق الاوسط واستخدامه لصالح خططها الاستراتيجية الكونية ، الرامية ، عبر سباق التسلح وتوتير الاجواء الدولية ، الى **خرق ميزان القوى الاستراتيجي القائم في العالم وتحقيق التفوق** العسكري على الاتحاد السوفياتي ثم القضاء على الاشتراكية بقوة السلاح .

وقد تجلت سياستها هذه مجددا باتفاقات كامب ديفيد والحرب الاهلية اللبنانية ، ومحاولة تحطيم الجبهة الداخلية في سورية ، وبالحرب العراقية الايرانية ، والاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ ثم اتفاق السابع عشر من نيسان واستقدام المارينز والبوارج **العسكرية والقوى متعددة** الجنسية ، والتذرع بمحاربة « **الارهاب** » لتستعيض عن الاعراف الدولية بقانون الغاب » **و « ادعاء دور الحكم الدولي والمؤدب »** .. وذلك كله من اجل ان نتخلى عن قضيتنا وعن سياسة مجابهة الامبريالية .

ولكنا لم نتخل عن القضية ، وقد برزت سورية **«كعقبة كاداء»** في وجه جميع المخططات التصفوية والحلول المنفردة ، الامر الذي اربك السياسة الامريكية وجعلها تتخبط في مناورات ذهبت جميعها في غير صالحها .. امام هذا الواقع وامام الاصرار الامريكي على مواصلة سباق التسلح وبرنامج حرب النجوم ، ورغم جميع النداءات والمشاريع السلمية للاتحاد السوفياتي ، الهادفة الى انقاذ البشرية من خطر كارثة نووية مدمرة .. وامام الهزائم المتلاحقة من قبل قرار محكمة لاهاي الذي ادان الممارسات الامريكية ضد نيكاراغوا ، والادانة العالمية للدعم المتواصل لنظام جنوب افريقيا العنصري ، وتحميل

الولايات المتحدة مسؤولية الديون المتفاقمة في العالم الثالث ، وظهور ما اسمي بفضيحة صفقات الاسلحة لايران وانكشاف الدور الامريكي الرامي الى تغذية مستمرة لهذه الحرب .. ثم الرفض العالمي لبرنامج عسكرة الفضاء ، وقبله غزو غرينادا وبعده الهجوم على ليبيا ، وحصار سوريا .. الخ .. الخ ..

امام هذا كله كان لابد ان تتضاءل هيبة الولايات المتحدة الامريكية ، وكان لا بد ان تسوء سمعتها ، وتتعرى اكثر فاكثر امام الراي العام العالمي ، وتتعثر علاقاتها حتى بحلفائها الاوروبيين واليابانيين ، بل ان هذا الواقع اخذ يدفع « **بقوى مترددة** » للانتظام في صف العداء للامبريالية الامريكية ، الامر الذي راحت هذه الامبريالية بمزيد من اذلال من تستطيع اذلاله ونقله من خانة الحليف او شبه الحليف الى خانة التابع او العميل المباشر .

هذه السياسة المدمرة ، التي قادت الى بروز اتجاهات غاشية خطيرة في الادارة الامريكية « **لا مستقبل لها** » ، كما يرى المراقبون ولن تفضي الا الى المزيد من العزلة والخسارة ، واستنادا الى هذه النتائج — يرى المراقبون — أن الولايات المتحدة أخذت تعيد حساباتها في الكثير من القضايا المطروحة على جدول الاعمال .. والتي منها **اعلان موافقتها من حيث المبدا على المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط** .

ولكن اي مؤتمر واي سلام ذلك الذي يمكن ان توافق عليه الولايات المتحدة الامريكية في ظل الظروف القائمة ؟! فمن العبث القول أن امريكا تخلت عن استراتيجيتها ، او انها يمكن أن تتخلى عنها ، بل أن الظواهر تشير الى انها تواصل دعم «اسرائيل» بلاحدود — ٦ **مليار دولار سنويا رغم الديون البالغة ٣٠ مليارا** — ، وانها تؤيد مجددا فكرة الاتصالات الثنائية ، وتنشيط دبلوماسيتها لمواصلة خط كامب ديفيد وتسعير الاحقاد ضد سورية وضد كل ما هو تقدمي في الوطن العربي ، كما انها تواصل صب الزيت على نار الحرب العراقية الايرانية

والتناقضات اللبنانية « وتحريك البوارج الحربية » وتدعيم وتنظيم القواعد العسكرية لاستخدامها — **كما تدل المعطيات** — في عمليات قوات الانتشار السريع في الشرقين الاوسط والادنى · وهي تستعد لتدخل مسلح مباشر في الخليج وتعلن مسؤوليتها عن تامين حرية ناقلات النفط في مضيق هرمز في الوقت الذي اخذت تستعرض قواها البحرية **في المحيط الهندي والخليج العربي وكانها مياه اقليمية امريكية** ·

لا شك انه قد خف الحماس الامريكي — **ظاهريا على الاقل** — ضد المؤتمر الدولي مؤخرا ، وقد تحدثت أجهزة الاعلام عن الامكانية المطروحة « للمناورة بحلول جزئية » تحت غطاء المؤتمر الدولي ، وبالارتباط بقضايا الحرب العراقية الايرانية والخوف المتزايد من تحولاتها في غير صالح الهيمنة الامريكية المطلقة على هذه المنطقة ، تقود في النهاية الى خسارة الكنوز التي تحتوي عليها في باطنها . او قضايا اخرى مثل « محاولة اصلاح العطب » مع العرب ، بعد عرض الفصل المسرحي المتعلق بصفقة الاسلحة الامريكية لايران .. او ما يروج عن تاثير الهجوم السلمي السوفياتي والقبول الامريكي بتسوية بؤر النزاع والتوتر القائمة في العالم والتي ادت في نهاية الامر الى تسميم الاجواء الدولية في غير صالح الولايات المتحدة الامريكية او حتى الاقتصاد الراسمالي العالمي .. الخ ..

ولكن مع ذلك كله فقد وصف مسؤول امريكي — حسب هارتس ٢٠-٣-١٩٨٧ فكرة المؤتمر الدولي «**بانها مخلوق خرافي** » · ولكن الصحيفة ذاتها عاد تتفلسف : يقود الولايات المتحدة الامريكية شيخ عجوز أخفق في الجواب المناسب عن اغلب التحديات السياسية خاصة حيال مبادرات الرئيس السوفياتي الشاب غورباتشيف . وضمن غياب القدرة على التفكير المنتج والعمل الدبلوماسي الاصيل اربكت الادارة الامريكية نفسها في السنة الماضية بما يتعلق بالمؤتمر الدولي · » **ولكن من يصغي — الكلام لهارتس — جيدا لاقوال ريغان**

وشولتز ومورفي يكون انطباعا بان الادارة الامريكية لم تسلم ابدا بالصيغة التي تستدعي مشاركة الاتحاد السوفياتي ، فالولايات المتحدة غير مشتاقة لعقد مؤتمر دولي وكل ما تريده هو كسب الوقت ، ليس اكثر ، وهذا ما قراه شامير في عيون الامريكيين » .

وعلى كل حال فان ما تم عرضه من ادلة ينفي جدية التوجه الامريكي نحو المؤتمر الدولي ، ولا ينفي حقيقة استمرار التوجه الامريكي لحسم الصراع العربي الاسرائيلي في اطار سياسة الاجماع الاستراتيجي ، وكسر مقاومته فكيف هو الحال عند الاطراف الاخرى لحركة التحرر العربي .

— هل تخلت الصهيونية عن حلمها بتحقيق « دولة اسرائيل من الفرات الى النيل ؟ » هل يقوم اصلا التحالف الاستراتيجي الامريكي الاسرائيلي ، واتفاق المنطقة الحرة وعضوية اسرائيل في برنامج حرب النجوم ، ثم ما جرى مؤخرا من عقد اتفاق لايجاد قاعدة دائمة لقوة هندسية للجيش الامريكي في فلسطين المحتلة وحق استخدامها « **في حالات الطوارىء** » ، هل يقوم هذا كله على مجرد حماية « اسرائيل » التي قال فيها ريغان : « لولا وجود اسرائيل لكان علينا التواجد اكثر فاكثر في الشرق الاوسط » ؟ ام ان لهذا كله مهمات اخرى يفسرها دور «اسرائيل» المتصاعد في افريقيا وامريكا اللاتينية ، ومناطق اخرى من العالم » ؟!

قد اصبحت « اسرائيل » تمتلك مئة قنبلة نووية كحصيلة لبرنامج التسليح النووي الذي بداته غولدا مائير عام ١٩٧٢ · ثم ان اي مراقب لا يخطىء في رؤية الاتجاهات الفاشية التي يشتد عودها في «اسرائيل» بالامس القريب قال روفائيل ايتان « **علينا الامساك بالعرب كالصراصير في زجاجة** » وقبله قال بيغن : « **العرب حيوانات تسير على قدمين** » ، حسبما ورد في مجلة النهج العدد ١٢ ، وهذه الاتجاهات والتصورات هي نتيجة حتمية لحقيقة ان الاحتكارات العالمية خلقت من « اسرائيل »

مشروعا عسكريا لا ينتعش ولا يعيش الا بالحرب ، بل انه يضمحل ويزول اذا ما حل السلام . ففي « اسرائيل » مجمع صناعي عسكري يعمل فيه اكثر من ٢٠٪ من القوى العاملة ، وتبيع « اسرائيل » سنويا باكثر من مليار دولار من الاسلحة الى دول مثل السلفادور وزائير وجنوب افريقيا وتشيلي .. ثم ان الارض العربية التي من المفترض ان تساوم عليها « اسرائيل » تشكل خلفية اقتصادية مهمة لها فهي سوق تصريف واسعة واحتياط لايد عاملة رخيصة ، تدر اكثر من مليار دولار سنويا .

هذا الواقع هو الذي يشكل خلفية القرار السياسي الاسرائيلي وهو الذي يبرر لصهيوني كبير كشامير القول : « **ان المؤتمر الدولي فكرة مجنونة ورهيبة تعادل محاولة انتحار قومي** » .

وعمليا لا يوجد هناك فرق في « اسرائيل » بين بيريز وشامير ـ بصرف النظر عن وجود اصوات في « اسرائيل » بدات تعترف باستحالة تحقيق الحلم الصهيوني وتطالب على هذا الاساس بالتعايش العربي اليهودي ـ **لا فرق بين الاثنين الا في الشكليات** ، فبيريز يرى ان المؤتمر الدولي هو الطريقة الوحيدة لدخول بعض الاطراف في محادثات تتحول الى محادثات مباشرة ، بينما يرى شامير الدخول الى هذه المحادثات الثنائية مباشرة .. والمهم في النهاية اقتياد العرب الى الحلول المنفردة وعقد صفقات لا تلزم « اسرائيل » باي شيء . وقد عبرت علهمشمار عن التعارض بين بيريز وشامير بما معناه : ان « اسرائيل » وجهة نظر في المؤتمر الدولي لا تختلف عن روح كامب ديفيد ورغم التعارض الظاهري بين بيريز وشامير **فهما يرفضان منح الفلسطينيين حق تقرير المصير** .

« اسرائيل » هذه تواصل مصادرة الارض واقامة المستوطنات والقواعد العسكرية « وهذا يبعدها عن السلام » كما قال الرفيق الامين العام في خطابه في زيارته الاخيرة للاتحاد السوفياتي .. بل ان

« اسرائيل » تواصل استعدادها لتوجيه الضربة المتوقعة لسورية قبل الوصول الى معادلة التوازن الاستراتيجي .. وهناك في « اسرائيل » من يتبارى في تاكيد حتمية الحرب مع سوريا ، فاسحق رابين يقول : « **الحرب مع سورية محتمة** » ورفائيل ايتان يقول « **الحرب مع سورية حتمية** » ، محتمة او حتمية هي المؤشر لمواصلة النشاط العسكري الاسرائيلي .. وقد اشارت صحيفة النجم الاحمر السوفياتية الى التدريبات الضخمة لقوات الاحتياط الاسرائيلية والمناورات العسكرية التي يكون عادة « **مثل هذه المناورات مقدمة لشن عدوان اسرائيلي** » اذن فعندما تتحدث « اسرائيل » عن السلام تكون في اوج استعدادها للحرب ، ومن يراجع سجل تاريخ الحروب الاسرائيلية يرى دائما الحديث عن السلام قبل الحرب .

الرفيق الامين العام لخص هذا الوضع في خطابه المشار اليه في الاتحاد السوفياتي بقوله : « الوضع في المنطقة العربية ما يزال مشحونا بعوامل التفجر ، ويشكل تهديدا للسلام العالمي ، نتيجة لتمسك « اسرائيل » بسياسة الاحتلال والتوسع على حساب الامة العربية ، وللدعم الذي تلقاه هذه السياسة من القوى الامبريالية ، التي تهدف بدورها الى السيطرة على منطقتنا » وقوله : « واذا كانت الولايات المتحدة تبدي بعض القبول بفكرة المؤتمر الدولي فانها تريده في المحصلة مؤتمرا صوريا يشكل غطاء دوليا لتحقيق مصالحها ومصالح « اسرائيل » . انها تريده محصلة لتحقيق الحلول المنفردة الجزئية التي طالما سعت اليها » .

ـ واخيرا ما هي المتغيرات الجدية على الساحة الاقليمية : **سورية صامدة ولكن راسها مطلوب او ان تغير نهجها .** هي واجهت كامب ديفيد ، صمدت امامه ، حاصرته ولكنها لم تقض عليه ، هي تعمل لتحقيق التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني ولكنها لم تحققه بعد ، هي ناضلت لرص صفوف حركة التحرر العربي ، ولكن هذه الصفوف ليست في احسن حال ، هي بذلت جهودا كبيرة لتحقيق

تضامن عربي فعال في مواجهة العدو ، ولكن اين هو التضامن العربي ؟ من من العرب يتضامن مع القضية ومن منهم يتضامن ضدها ؟ : **كم هو عدد الانظمة العربية التي ترى ان التضامن مع الشيطان يكون منطقيا،** فيما اذا كان يقود للقضاء على القوى التقدمية في اقطارها ؟ وكم هو عدد تلك الانظمة التي تلتقي فعلا مع الامبريالية والصهيونية على هذا الاساس ؟!.

هل **الملك الحسن الثاني** ، مثلا ، مع القضية الفلسطينية والعربية عامة ، اذا كانت تعني خروجا على المنطق الامريكي الاسرائيلي ؟! هل خرجت مصر من اطار كامب ديفيد او تستطيع الخروج منه ؟ **هل لبنان بالف خير ؟ اين اصبحت الحرب العراقية الايرانية ؟! اين الثورة الفلسطينية ؟ اين الخليج وغير الخليج ؟**

بل الاصح من هم الذين يلتزمون بالقضية حقا واين هم ؟! ثم ماذا حقق العرب كلهم في مواجهة « اسرائيل » .

ان هذا الواقع العربي المتردي هو الذي يفسر من جانب آخر لماذا عادت «اسرائيل» والولايات المتحدة للقبول بفكرة المؤتمر الدولي بعد رفضها المطلق ، طيلة عشرين عاما انها ، ببساطة ، تجد الآن مناخا يمينيا عربيا مساعدا على فرض المنطق الاستسلامي في اطار التحالف الامبريالي الرجعي العربي ، وتحت غطاء الشرعية الدولية، **ولا تجد من سيجبرها اقليميا على الاقرار بسلام شامل دائم ومضمون في هذه المنطقة .**

نحن من جهتنا لا ولن نرضى بغير الحل العادل الدائم الشامل ، الذي يفضي الى اعادة الاراضي العربية المغتصبة واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، على التراب الفلسطيني ، الذي ترعاه الامم المتحدة بمشاركة فعلية وليس شكلية ، كما تريده امريكا و«اسرائيل». الحل الذي تتوافر له مظلة دولية تضمن تنفيذه واستمراريته ، آخذين بعين الاعتبار الرفض او الخرق الدائم من قبل « اسرائيل » لجميع

قرارات الامم المتحدة الخاصة بالشرق الاوسط ، رغم أنها ، هي بالاصل ، وجدت بقرار من الامم المتحدة .

غير ان هذا الحل الذي ننشده ، لا نستطيع تحقيقه حاليا ولا نعتقد انه سيمنح لنا تحت اي عنوان ، بل اننا نعتقد انه لن يتحقق الا في اطار التوازن الاستراتيجي الفعلي بيننا وبين « اسرائيل » .

لا شك في صحة ما قاله **الرفيق غورباتشيف ، في خطابه ابان استقباله للرفيق الامين العام للحزب « اليوم لا مبالغة ابدا في القول ان القسم الكبير من المجتمع الدولي يقف الى جانب عقد مثل هذا المؤتمر ، وانه حتى الولايات المتحدة واسرائيل ليس باستطاعتهما ان يتشبثا بصورة سافرة بموقفهما الرافض السلبي » .**

وهذا يظهر الآن التراجع الامريكي الاسرائيلي « عن الموقف الرافض السلبي » لعقد المؤتمر الدولي ، ولكن مرة اخرى يطرح السؤال : اي هذا الذي تريده أمريكا و « اسرائيل » في ظل مثل هذه الاوضاع القائمة في منطقة الشرق الاوسط ، وعلى اساس هذا التناقض الصارخ في مواقف الاطراف المختلفة من هذا المؤتمر ؟!

استنادا الى ما تقدم من معطيات نميل الى الاعتقاد بان الامريكيين والصهاينة يريدون مؤتمرا يؤدي الى دورة جديدة من التيئيس والضغط **النفسي والسياسي للقبول بسياسة الامر الواقع على طريقة كامب ديفيد .**

اذن فالمسالة بحاجة الى الكثير من الوقت والجهد ، فهي تتطلب **اول ما تتطلب تضامنا عربيا فعالا ، ينبثق عنه موقف موحد في المؤتمر،** ثم التوصل مع الاطراف الاخرى الى نقاط مشتركة يتواصل الحوار على اساسها .. وهذا لن يتحقق **ما لم تستعد حركة التحرر العربي الامساك بزمام المبادرة والعمل على انضاج الشروط — اقليميا — ،** التي ستدفع اخيرا بالولايات المتحدة و«اسرائيل» الى الاعتراف بالحقوق

العربية المشروعة .. ولكن الى ان يحين ذلك الوقت فان موقفنا هو ما اعلنه الرفيق الامين العام في الخطاب المشار اليه بقوله :

« ان سورية العاملة من أجل السلام الحقيقي والداعية الى مؤتمر دولي للسلام ، سليم الاساس واضح الغاية ، يؤدي الى انهاء الاحتلال والعدوان ، ويعيد الحقوق الى اصحابها ، لا تملك في الظروف التي ذكرتها الا ان تكون مستعدة لمواجهة العدوان ومخططات السيطرة الامبريالية » .

شهود يهوه ..
دراسة تاريخية .. تحليلية نقدية ..

الرفيق : عبد الهادي نصري

شهود يهوه حركة دينية سياسية تعود بتاريخها الى القرن التاسع عشر كحركة منظمة ذات عقيدة دينية معينة ، واهداف سياسية .. وان كانت ترجع بجذورها الى فترات اسبق ترقى الى القرن السابع عشر .. ظهرت الحركة في الولايات المتحدة الامريكية غير انها تدين بمضامينها الفكرية التوراتية للتطورات التي طرات على حركة الاصلاح الديني البروتستانتي في انكلترا عند البيوتان او اتباع المذهب الانفليكاني وهي تاتي في اطار الحركات الدينية — السياسية الطفيلية التي افرزها الفكر الصهيوني عند الصهاينة الاغيار (١) .. ذلك الفكر الذي تصاعد بنشاطه المحموم على الساحة الاوربية في القرن التاسع عشر وانتقل تاثير تياراته من انكلترا الى الولايات المتحدة الامريكية .

دلالة تسمية شهود يهوه :

استمدت الحركة اسمها من صلب التوراة والمعتقدات اليهودية رغم ما تتظاهر به من الانتماء للمسيحية ويهوه .. **(بفتح الياء والواو)** **الاله** الذي توسد على اليهود بعد الخروج من مصر بقيادة موسى حسب ماجاء في التوراة عندما ظهر لموسى في جبل حوريب (٢) :

« قال الله ايضا لموسى هكذا تقول لبني اسرائيل ، يهوه اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ارسلني اليكم هذا اسمي الى الابد » — سفر الخروج (٣) — (١٤ — ١٥) —

واسم يهوه حسب سفر الخروج يعني الكائن الحي ، ومن خلال العودة الى نصوص التوراة نجد ان يهوه اله طفولي وثني لم يرق الى مرتبة التوحيد فهو يصارع يعقوب ويقوم بختان موسى ويقيم في منطقة محددة من الارض ، لقد ورد في سفر صموئيل — الاصحاح السابع :

« في تلك الليلة كان كلام الرب الى ناثان قائلا اذهب وقل لعبدي داود هكذا قال الرب انت تبني لي بيتا لسكناي لانني لم اسكن في بيت منذ يوم اصعدت بني اسرائيل من مصر الى هذا اليوم بل كنت اسيرا في خيمة » .

— واما الشهود فهي كلمة استعملها النبي اشعيا (٤٣ — ١٢) اذ قال :

« انتم شهودي يقول الرب وانا هو الله يهوه »

ومن ذلك اخذت حركة شهود يهوه اسمها مرتبطة باله اليهود دون الاله الواحد (ايل) الذي عبد من قبل العرب القدماء ومن السيد المسيح .. لقد ارتدت الحركة الى التوراة لتعد يهوه الاله الحقيقي والشهود اتباعه والحاملين لمقاصده واهدافه ، يقولون **« الله هو يهوه**

فلا يجوز ان نسمي الله الا باسم يهوه » (عن كتاب ليكن الله صادقا ص ١١٣) .

ويطلق اليهود على الاله احيانا اسم **(ادوناي)** وتعني سيدي ، وادون اله عبد عند الكنعانيين والمصريين في السابق ، ويعني اسمه (السيد) .

الجذور التاريخية والدينية للحركة :

استمدت حركة شهود يهوه اصولها من مصدرين اساسيين هما :

أ — التوراة وتحقيق نبوءاته حول العام الالفي وارض المعياد .

ب — الفكر الصهيوني واثره في السياسة البريطانية ودوره المتنامي في الولايات المتحدة .

أ — التوراة :

وتضم كتب موسى الخمسة وهي اسفار **(التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية)** واسفار الانبياء التي تتحدث عن سيرة انبياء اليهود امثال صموئيل ويوشع والقضاة والملوك اما القسم الثالث فيتألف من عدد كبير من الاسفار ذوات الموضوعات المتعددة مثل المزامير لداود والامثال لسليمان وايوب ونشيد الانشاد لسليمان والجامعه وعزرا واخبار الايام ... الخ .

وقد جمع احبار اليهود **(الفريسيون)** (٣) تلك التعاليم في كتاب واحد هو — التوراة — وغدت التوراة المأثرة الوحيده لليهود وارتبطت اساسا بشريعة موسى .. وقد ضاعت نصوصها وتبددت بعد عصر الخروج والتيه في سيناء ، وتعترف التوراة نفسها ان التابوت المقدس الذي كان يضم الواح الشريعة والوصايا قد اخذه الفلسطينيون واعادوه فارغا ومنذ القرن السادس ق.م وبالتحديد بعد مرحلة السبي البابلي (٤) ، اعاد احبار اليهود تدوين التوراة اي بعد عصر ابراهيم

بأثني عشر قرنا وبعد عهد موسى بسبعة قرون على وجه التقريب واستمر الاحبار بكتابتها لبداية العصور الميلادية فسفر المكابيين الاول والثاني اللذين حررا في القرن الاول ق.م .

ان مراجعة نقدية لنصوص التوراة تشعرنا ان الاحبار كتبوها متأثرين بمحنة السبي والموقف العنصري الحاقد على الشعوب .

وقد اثبت البروفسور الهولندي (**هوفت جزر**) في اطروحته عن الوعود الالهية للاباء اليهود : « ان تلك الوعود التي جاءت على لسان ابراهيم واسحاق ويعقوب بالارض هي من وضع احبار اليهود خلال فترة الازمات والاخطار التي تهدد وجودهم ولتقدم الامن والاستقرار لهم وان معظمها كتب اثناء الاسر البابلي حوالي القرن السادس ق.م » .

وينفي العالم الفرنسي ريشارد سيمون في كتابه « التاريخ النقدي للعهد القديم » الذي اصدره عام ١٦٧٨ نفيا قاطعا نسبة اسفار الشريعة الى موسى .. مؤكدا انها مجموعة مدونات لاجيال متعاقبة من الاحبار خلال القرن الرابع ق.م .

وتقوم دعوى شهود يهوه على اعتبار التوراة (**العهد القديم**) المهد والاساس للانجيل (**العهد الجديد**) وانه لايمكن فهم الانجيل بعيدا عن التوراة .. وان المسيح اتى لتجديد الدين اليهودي ، وهم في الوقت نفسه يرفضون تفاسير الآباء للعهد الجديد .. ويتصرفون في الوقت نفسه بحرية تامة في ترجمة النص الاصلي للانجيل من اليونانية او الارامية الى اللغات الاخرى بما يخدم مآربهم حتى ان اعضاء الحركة انفسهم اختلفوا حول ذلك وانقسموا الى عدد من الفرق بلغت نحوا من اربعين فرقة تحمل نفس الاسم ولكل فرقة تفسيراتها المتنوعة .

نبوءات التوراة :

تدعو حركة الشهود الى تحقيق نبوءات التوراة وفي مقدمتها تنفيذ الوعد الالهي بتمليك ارض الميعاد لابراهيم وبني اسرائيل ، وذلك حسب ماورد في سفر الخروج الاصحاح الخامس عشر (١٨ـ١٩) :

في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام (**ابراهيم**) ميثاقا قائلا : لك ولنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير من الفرات » ذلك هو الوعد المقدس .

يقول / **روثرفورد** / احد رؤساء حركة شهود يهوه :

الصهيونية حركة الهية لانها تنفذ عهدا قطعه الله على نفسه لليهود بعودتهم الى فلسطين واقامة دولة اسرائيل » وذلك في كتابه (**ملايين من الاحياء اليوم لن يموتوا ابدا — بروكلين ١٩٢٠**) ولعل كتبة التوراة من الاحبار السباة في بابل نسوا ماورد في التوراة نفسها على لسان ابراهيم بعد موت زوجته ساره في حبرون (الخليل) بفلسطين حين خاطب اهل حبرون قائلا :

« انا غريب بينكم أعطوني ارضا ادفن فيها زوجتي »

— اما كيف يتم تحقيق تلك النبوءة عند شهود يهوه فانهم يفسرون تلك العودة من خلال ما سمي بـ (**العام الالفي**) وهو بدعة ظهرت ضمن اطار المذهب الانغليكاني (٥) وتجلت بشكل واضح في القرن السابع عشر عندما اراد استغلالها (اوليفر كرومويل) لمصالح انكلترا الاقتصادية .

ومضمون تلك النبوءة ان **المسيح المنتظر سيعود ويجمع اليهود في جزيرة وينطلق بهم الى ارض كنعان حيث يقيم مملكة الله هناك والتي تدوم الف عام .**

والنبوءة مأخوذة من سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي في سفر رؤيا من الانجيل الاصحاح ٢٠ (١ — ٢) :

— ورأيت ملاكا نازلا من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده . فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو ابليس والشيطان وقيده الف سنة وطرحه في الهاوية واغلق عليه لكي لايضل الامم في ما بعد حتى تتم الالف سنة .. فعاشوا وملكوا مع المسيح الف عام » وهذه القيامة الاولى .

ويفسر الشهود ان بداية مملكة العام الالفي كانت سنة ١٩١٤ ، ويبدأ العهد الذهبي سنة ١٩٢٥ » (٦) ورغم ان الآباء الاوائل من رجال الدين المسيحي امثال / اوريفن واوغسطين / رفضوا تلك الفكرة .. وان مارتن لوثر وحنا كالفن بطلي الاصلاح الديني قالا براي اوغسطين فان اليهود استطاعوا تسريب تلك الافكار الواهية الى الجماهير ولا سيما في الجزر البريطانية بعد انفصال الملك هنري الثامن بكنيسة انكلترا عن كنيسة روما وبدورها انتقلت الى امريكا منذ القرن السابع عشر .

ب ـ اثر الفكر الصهيوني في انكلترا والولايات المتحدة :

لم تنطلق النداءات في اوربا لتحقيق بدعة العام الالفي في البداية من قبل اليهود بل من غيرهم من ساسة انكلترا الصهاينة الاغيار ووجدت تلك النداءات في المحيط الديني السائد سندا لها داخل الدولة الانجلو ـ ساكسونية ومع مرور الايام تطورت تلك الافكار لتصبح جزءا راسخا من الثقافة الغربية والسياسة الامريكية .

وظهرت الدراسات للدكتور **جوهان روشلن** منذ عام ١٥١٧ (٧) والتي تبرز الدور العبراني في مسيرة اللاهوت المسيحي . فضلا عن المطالبة بتعليم العبرية الى جانب اللاتينية في انكلترا .

كما كتب العالم اللاهوتي / **توماس براتيمان** / (١٥٦٢ ـ ١٦٠٧) (٨) « ان اليهود سيعودون ثانية الى فلسطين » وانتشرت افكاره بين اعضاء البرلمان والبيورتان (٩) البروتستانت ، حتى مجموعة من البيورتان تدعى اللفلرز (Levellers) طالبت الحكومة الانكليزية اعلان التوراة دستورا للقانون الانكليزي .

وفي عام /١٦٤٥/ تمكن النائب البيورتاني **(اوليفر كرومويل)** **من قيادة ثورة جمهورية ضد اسرة ستيورات الملكية واقام الجمهورية البنيية في تاريخ انكلترا .**

وعندما عانت الدولة بعهده ازمات اقتصادية .. استغل بدعة **العام الالفي لجذب اليهود من مختلف انحاء العالم الى جزيرة انكلترا**

بانتظار عودة المسيح **ليخرج بهم الى ارض الميعاد وهدف كرومويل** الافادة من اموالهم وتوظيفها في الصناعة الوطنية وكان اهتمامه بجمع **اليهود في انكلترا يفوق اهتمامه بجمعهم في صهيون .. كانت اهتماماته** تجاريه محضة .. ،

وحددت في تلك الاونة العديد من السنوات لظهور المسيح ولكن شيئا من هذا القبيل لم يحدث . وفي عام ١٧٩٠ كرر / ريتشار بيير / اسقف / ساندبروك / (١٠) دعوته بضرورة عودة اليهود الى فلسطين وقال مخاطبا اليهود : **ستكون هذه الجزيرة في طليعة الدول التي ستنقلكم الى وطنكم وحدد سنة ١٧٩١ موعدا لبداية العام الالفي.**

ـ في نهاية القرن الثامن عشر ومع حملة نابليون بونابرت الى مصر واعلانه سنة ١٧٩٩ عن اقامة دولة يهودية بفلسطين لحماية مصالح فرنسا في الشرق وتوجيه نداء ليهود العالم للانطلاق الى فلسطين تنامت في انكلترا اثر ذلك نهضة بيورتانية جديدة ورغم ان المؤرخ اليهودي لوسيان دولف يعلن انه لم يرتفع صوت يهودي واحد في العالم للاستجابة الى دعوة بونابرت فان كريستوفر سايكس يصف لنا تلك النهضة البيورتانيه نحو مشروع الدولة اليهودية بـ **(الوثبة الثانية للنبوغ البيورتاني)** .

ـ ان تصاعد البرجوازية الاوربية المتنامي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والتناقض الذي اخذت تعاني منه مع البرجوازية اليهودية حول السوق الاوربية الداخلية .. دفع بها الى تحريك المشاريع الدينية نحو دفع اليهود خارج اوربا .. وبالوقتنفسه اعلان الحرب ضد البرجوازية اليهودية باسم اللاسامية .

واللورد شافتسبري الذي يمثل البرجوازية الانكليزية الناهضة ورفض مبدأ دمج اليهود داخل المجتمع الانكليزي .. طالب بدفع اليهود نحو فلسطين رافعا شعار **« وطن بلا شعب لشعب بلا وطن »** الذي اخذته عنه الصهيونية فيما بعد .. وكان بالوقت نفسه يرفض مبدأ تحقيق الخلاص السياسي والمدني لليهود على ارض انكلترا .

ويصف لنا دافيد بلوك المؤرخ الامريكي تلك المرحلة من بدايـــة القرن التاسع عشر بمرحلة « الاتحاد العجيب بين سياسة الامبراطورية ونوع جديد من الصهيونية ـــ المسيحية » (١١) والذي عد بحق الجذر الواضح لحركة شهود يهوه .

ـــ ويعد مشروع شافتسبري باعادة اليهود الى فلسطين والذي ايده اللورد بالمرستون هو اول كشـــف عن الفكرة السياســـية الصهيونية ـــ الاستعمارية في صلب الحلم الديني للانغليكان . (١٢) حيث اندفع الرعيل الاول من الساســة الانكليز لتأييد مثل ذلك المشروع فكتب تشارلس هنري تشرشل ســـنة ١٨٤١ الـــى موسى منتفيوري اليهودي وصاحب مشاريع الاستيطان بفلسطين ايام حكم محمد علي لبلاد الشام .. كتب يقول له : **لا اخفي عنك رغبتي الجامحــة في ان ارى قومك يحاولون استعادة وجودهم كشعب »** .

ـــ ومع تصاعد المد الصهيوني في اوربا منذ قيام مورتس هس عام ١٨٦٢ بوضع اول مخطط لغزو فلسطين واقامة دولة يهودية بحماية فرنسا في كتابه روما والقدس . الى دور الطبيب الروسي ليونبنسكر في طرح مسألة الخلاص اليهود خارج أوربا على ارض جديدة في كتابه التحرير الذاتي ١٨٨٢ وما تبعه من ظهور حركة احباء صــهيون وعقد المؤتمرات الصهيونية في كاتوفيتز ١٨٨٤ وأوديسا ١٨٩٠ ومؤتمر بال العام ١٨٩٧ فان حركة شهود يهوه .. شهدت اندفاعا كبيرا عـــلى صعيد الولايات المتحدة الامريكية .. ووجدت في تلك الجهـــود الاستعمارية والصهيونية والتي باركتها بدايات لتحقيق نبوءة التوراة واقتراب قيام مملكة العام الالفي .

والتي هي بالوقت نفسه طريق الخلاص للبرجوازية اليهودية امام منافسة وضغط البرجوازية الاوربية وقد عبر تيـودور هرتزل عـــن ذلك بقوله :

لقد سئمت البرجوازية اليهودية من وجودها في كنف امة مضيفة لها وهي تفضل خلق امتها ودولتها التي لاينازعها احد على ســوقها الداخليـــة » .

تطور حركة شهود يهوه :

كان واضحا انتقال التاثير السياسي والديني من اوربــا وانكلترا على وجه الخصوص الى الولايات المتحدة الامريكية نظرا لعمـــق الصلات التاريخية بينهما .

وبدات تظهر بعض الحركات في الولايات المتحدة نتيجة ذلــك التاثير ولدى اصحاب الاتجاهات الدينية البروتستانتية المتاثريـــن بالتوراة فظهرت جمعية (**تلاميذ التوراة**) مع بداية القرن التاســع عشر .. وحركة (**منتظري المسيح**) التي اسسها وليم ملر المعمداني الامريكي سنة ١٨٢٢ وادعى ان المسيح سيظهر سنة ١٨٤٣ .

ولما مرت تلك السنة ولم يحدث شيئا حدد سنة اخرى وهـــي ١٨٩٠ ولكن المسيح لم يأت ومع انتشار فكرة مجيء المسيح وانتظاره ظهرت جماعة عرفت بـــ (**المجيئين**) Overtistes لانتظار قــدوم المنقذ والمخلص وانتهى الى هذه الجماعة شاب من مدينة تسبرغ في ولاية بنسلفانيــة وهو شارل تاز روسل (RUSSEL) الـــذي يعد **المؤسس الحقيقي لحركة شهود يهوه .**

شارل تاز روسل :

ايرلندي الاصل مواليد ١٨٥٢ ومن اتباع الكنيسة البروتستانتية .. انتسب مع بداية شبابه الى منظمة الشباب المسيحيين وابـدى نشاطا واضحا .. ولكن الامر انتهى به الى الشك وعدم الايمان وهو في الســادسة عشرة من عمره .

ولم يلبث روسل .. ان عاد للايمان ثانية بانتسابه الى جماعة المجيئيين .. حيث عاد الامل الى نفسه عندما قرا عن نبوءة العام الالفي ..

ترك روسل عمله واتجه الى مطالعة الكتاب المقدس .. ووقع في الوهم نفسه وهو ان تحرير الانسانية يقع على كاهله .

وانصرف للدعوة الى اقتراب ملكة العام الالفي وبطلان عقيدة جهنم ويوم الآخرة لان التوراة لم تتضمن اشارات واضحة الى ذلك . وحدد عام ١٨٧٢ موعدا لعودة المسيح وعندما لم يظهر المسيح عاد وتنبأ بسنة ١٨٧٤ موعدا لظهوره . وعندما لم يحدث شيئا في ذلك العام .. اعلن بعد سنتين ان المسيح جاء فعلا سنة ١٨٧٦ ولكن بصورة خفية .. ثم ادعى ان الاله يهوه ظهر له واوكل اليه نقل رسالته الى العالم .

ومنذ ذلك الوقت انفصل روسل عن حركة المجيئيين ليؤسس جمعية جديدة عرفت باسم جمعية **(دارسي التوراة)** ، وفي عام ١٨٧٩ اسس مجلة دورية جديدة حملت اسم **(برج مراقبة صهيون)** .

تابع روسل نشاطه بهمة كبيرة .. وفي سنة ١٨٨٠ اصدر بيانا حدد فيه نهاية العالم سنة ١٩١٤ وكان يلقى المواعظ ويبشر بافكاره .. التي وجدت لها مرتعا خصبا لدى بعض الامريكيين والف روسل جمعا من سبعين شخصا لهدف الدعوة .. واضاف لهم / ٧٠٠ / عضو مساعد وبعد ذلك بعام اي ١٨٨١ الف جمعية للدعاية والنشر حملت اسم **(برج المراقبة للدعاية)** وكتب مايزيد عن /٥٠/ الف صفحة ، ومنح لقب قس سنة ١٩٠٥ ، وطاف معظم بلاد العالم والقى آلاف الخطب والمواعظ وفي سنة ١٩٠٩ نقل روسل مركز جماعته الى نيويورك (بروكلين) (١٣) واعطاها اسم جمعية تلاميذ التوراة وعندما اندلعت الحرب الكونية الاولى ١٩١٤ ، اعتقد الكثيرون بنبوءة روسل حيث اتسعت حركته واستعد هؤلاء لمجيء المسيح مع بداية الحرب

وان المسيح شرع في حصاد الشر والبشر سنة ١٨٨٧ وان يهوه اجلسه على العرش سنة ١٩١٤ في الديمومة (١٤) ، **وان ملكوت الله اصبح على الارض منذ وقوع الحرب العالمية الاولى والتي اطلق عليها اسم معركة هرمجدون** والتي تعني بالعبرية معركة جبل مجدو فقد وردت تلك المعركة في سفر رؤيا يوحنا الاصحاح — ١٦ (١٦) — :

فجمعهم الى الموضع الذي يدعى بالعبرانية « هر مجدون » كما ورد في سفر الملوك — اصحاح ٤ (٢٣ — ٢٩) وفي هذه المدينة غلب الملك يوشيا واصبحت تلك المعركة رمزا للجيوش التي تحتشد فيها (زكريا ١٢ — ١١) ورد في كتاب (ليكن الله صادقا) في مخاطبة يهوه : ليات ملكوتك .. بمنتهى القوة والسلطان ليزحزح ويفني في هر مجدون جميع قوات ابليس الشريرة الباقية » .

ويبين روسل ان هذه المعركة تمهد لملك يسوع الالفي على الارض وتنفيذ الحكم الصادر بحق الشعوب وان الخلاص ليس بالمسيح بل بالانتساب الى جماعة الشهود .

وقسم روسل العالم الى ثلاثة اقسام :

١ — من الخليقة الى الطوفان .

٢ — من الطوفان حتى سنة ١٩١٤ حيث يبدأ ملكوت العام الالفي

٣ — من ١٩١٤ الى ٢٩١٤ حيث نهاية العالم .

وفي عام ١٩١٦ توفي روسل في القطار الذي كان يقله من سانتانه الكنساس سيتي في الولايات المتحدة وخلفه تلميذه جوزيف فرانكلين روثر فورد .

جوزيف فورد : (RUTHER FORD)

هو من مواليد سنة ١٨٩٦ .. تولى قيادة الحركة بعد روسل ورغم انقسام الشهود بعد وفاة زعيمهم الى عشرين فرقه ..

استطاع فورد توحيد معظمهم من جديد تحت اسم جديد ابتدعه وهو حركة (**شهود يهوه**) .. وانشق عنه فرانباغ الذي كان يعمل معاونا لروسل واستقل عن فورد حيث اسس جمعية مستقلة باسم (اصدقاء الانسان)، ونشب صراع ومشادات عنيفة بين اتباع الزعيميـــين ، كان روثر فورد نشيطا فبعد انفصال فرانباغ عن حركته .. دعى الى مؤتمر عام برئاسته وقرر متابعة اصدار نشرات باسم (**الجمعيــة العالمية لتلاميذ التوراة**) .. واقرار التسمية الجديدة للحركة .

وجال في الولايات المتحدة وسائر اقطار العالم والف نحوا مــن سبعين كتابا وكان يصدر كل اسبوعين مجلة برج المراقبة ومجلــة التعزية .. ويبشر بفساد العالم وان سلطاته المدنية والدينية من صنع الشيطان وان عودة المسيح قريبه .

وبلغ به الامر الادعاء بانه الملهم الوحيد والمعصوم عن الخطأ .. وانه نبي الاله يهوه وتنبأ بعودة ابراهيم واسحق عام ١٩٢٥ ليقيمـــوا النظام الثيوقراطي الجديد وخلود النفس لجميع البشر ومضت سنــة ١٩٢٥ ولم يظهر احد من الاباء .. عمل فورد في القضاء والف ثلاثـــا وثلاثين رسالة ترجمت الى /٨٨/ لغة . وتوفي سنة ١٩٤٢ وخلفه في قيادة الحركة ناثان هومر كنور .

ناثان هومر كنور : (N. H. KNORR)

من مواليد سنة ١٩٠٥ .. ادخل اساليب جديدة على التبشير بتاسيس مدرسة لتنشئة المبشرين خلال الحرب العالمية الثانيــة .. كانت تخرج كل سنة /١٢٠/ مبشرا من مختلف شعوب العالم وطــور مطبعة الشهود حيث صارت تسحب (٩ر٥) مليون نسخة في كــل اسبوعين من مجلة (برج المراقبة) ومجلة (استيقظوا ..) .

وضع ناثان سنة ١٩٥٠ ترجمة جديدة للكتاب المقدس حســب الروح الشهودية .. واهتم بتنظيم جهاز الدعاية .. معتمدا عــلى اسلوب الكثافة في نشر اخبار الحركة ونشاطاتها ومجلاتها وكتبهـــا

توفي .. سنة ١٩٧٧ وخلفه في رئاسة الحركة نائبه ف ـ فرانــز (F. FRANZ) وهو الرئيس الحالي لجماعة شهود يهوه .

تنظيم الشهود ومؤسساتهم التبشيرية والاعلامية الضخمة :

تملك حركة شهود يهوه امكانات مالية كبيرة .. ومؤسســـات اعلامية وتبشيرية هائلة يندر توفرها في تنظيمات اخرى مماثلة . وهي اكبر من امكانات ميزانية العديد من الدول النامية . وهي تتلقى مــن الحركة الصهيونية وافر دعمها اللامحدود ..

والمركز الرئيسي الحالي للحركة هو في **الولايات المتحدة الامريكية ولاية نيويورك مدينة بروكلين والذي** يعرف باسم :

— WATCH TOWER BIBLE AND TRACTSOCIETY OF PENSYLVANIA. 124 COLOMPIA HEIGHTS, BROOKLY N. N. Y.

ويوجد في العالم مراكز اخرى تابعة للمركز الاســاسي في انكلترا وكندا والبرازيل والمانيا وغيرها ويقوم الشهود بارسال نشـراتهم وكتبهم الى البيوت والمؤسسات بسخاء ويطبعونهـا بـ (٢٢) لغـة عالمية ويصل سحب النسخ الى مليون نسخة من كل مايصدر منهم ، ويرسلون النسخ الى البيوت من خلال زيارات ميدانية حيث يطرقون الابواب وياخذون عناوين الاهل والمعارف ليقوموا بارسال تلك النسخ لهم باجور زهيدة او مجانية ، ويركزون في الاونة الاخيرة على عناوين الطلبة العرب الدارسين في انكلترا والولايات المتحدة والمانيه وفرنسا، ولاسيما عناوينهم داخل الاقطار وتمنح الحركة لاعضائها مبالغ كبيرة من الاموال لمهام التبشير .. وتعتمد على جهاز سري يتغلغل الــى المراكز العليا في المؤسســات الدينية المسيحيــة او المدنيــة او السياسية ... الخ

٢ ـ المؤسسات التبشيرية :

بلغ عدد مدارسهم الدينية ـ التبشيرية في العالم ســنة ١٩٧٠

/٢٥٦٩٤/ مركزا ، والدارس فيها يمنح اجور السفر والمنامة والماكل مجانا وابرز تلك المؤسسات هي :

١ ـ المدرسة الجلعادية لبرج المراقبة :

التي تأسست سنة ١٩٤٣ في نيويورك ومهمتها تأهيل المبشرين ومدة الدورة فيها /٥/ اشهر والمبشرون عادة يجيدون عدة لغات (الفرنسية ـ الاسبانية ـ اليابانية ـ البرتغالية) بالاضافة الى الانكليزية وبلغ عدد الدارسين فيها حتى سنة ١٩٦٩ /٤٨٦٢/ داعيا وداعية . وهذه المدرسة اعلى سوية من غيرها لذلك لا يقبل الطالب فيها الا بعد ان يمضي مدة سنتين في خدمة الحركة سابقا .

٢ ـ مدارس الخدمة التيوقراطية :

وهي منتشرة في مختلف انحاء العالم باعداد كبيرة .. ليجتمع الشهود فيها اسبوعيا بهدف الوعظ والارشاد والتمرن على الخطابات .

٣ ـ مدرسة خدمة الملكوت :

كان مركزها الاساسي في بروكلين ولكن لضيق المكان انتقلت الى بتسبرغ ، وهدفها اقامة دورات سريعة للشهود .. ومدة الدورة اسبوعين ، وقد اقامت سنة ١٩٦٩ ٢٤ دورة .. ويقدم الى الطالب فيها كل ما يحتاجه من منامة وماكل مجانا ، تأسست تلك المدرسة سنة ١٩٥٩ وفتحت لها فروع في مناطق عديدة من العالم .

٤ ـ بيوت ايل :

وتعني (بيوت الله) والحياة الاخوية المشتركة ، قامت بتأسيسها جمعية برج المراقبة . لسكن اعضاء الحركة وانصارها . وبلغ عددها في العالم سنة ١٩٦٩ /٩٤/ بيتا يسكنها /٢١٢٦/ عضوا ، ويعد بيت ايل في بروكلين من اكبرها فقد بلغ عدد اعضائه (١١٢٤) من العام المذكور نفسه .

ـ وقد حققت تلك المراكز ٢٣٩٫٧٦٩ مليون ساعة وعظ وتوجيه و ١٫٠٩٧ مليون درسا في بيوت ايل .

ب ـ مطبعة بروكلين : (BROOKLYN)

مركز المطبعة الرئيسة للشهود في بروكلين ـ نيويورك وخصص لها ثلاث بنايات ضخمة كل واحدة من احد عشر طابقا ، وهي مجهزة بكل ما تحتاجه المطبعة العصرية ، وتعمل ليلا ونهارا وفي امكانها انتاج مئة الف كتاب مقدس في اليوم الواحد ، وتضم المطبعة فريقا كبيرا من الفنيين والخبراء ، وفي سنة ١٩٦٧ اخرجت المطبعة ثمانية ملايين كتاب مقدس وكتاب شهودي وقد بلغ عدد مطبوعاتها لسنة ١٩٦٨ اثني عشر مليونا من الكتب والرسائل والمجلات .

وارتفع ذلك سنة ١٩٦٩ الى اربعة وعشرين مليونا ونظرا لذلك الحجم فقد حول طبع بعض الكتب الى المطبعة الالمانية في ويزبادن (WIESBADEN) سنة ١٩٧٠ وبامكان مطبعة الشهود في المانيا طباعة / ١٠ ـ ١٢ / الف نسخة يوميا . وهناك مطبعة اخرى للشهود في فلندا تطبع باللغة الفلندية فقط . وكامثلة عن حجم مطبوعات الشهود الهائلة فقد تم طبع /١٨/ مليون نسخة من « كتاب الحق الذي يقود الى الحياة الابدية » في ١٥٠ لغة وذلك سنة ١٩٦٩ .

ـ من الكتاب المقدس : ١٤٫٤٧٤٫٨٦٢ نسخة

ـ نشرات صغيرة : ١١٫١١١٫٧٤٣

ـ من مجلة « استيقظوا وغيرها » : ١٨٦٫٢٥٧٫٨٧٨ نسخة

ـ اعداد المشتركين : ٢٫١٣١٫٦٦٧

ج ـ مزارع شهود يهوه :

تمتلك حركة الشهود الى جانب مؤسساتها التبشيرية ووسائلها الاعلامية .. مؤسسات اقتصادية انتاجية تساهم بريعها الى جانب ريع بيوت ايل في كلفة الكتب والنشرات اليهوهية الموزعة مجانا او شبه المجان بمئة وستين لغة ..

واهم تلك المؤسسات ثلاث مزارع جبارة في الولايات المتحدة .. وتاتي مزرعة برج المراقبة في طليعتها وتقع شمالي نيويورك على بعد ١٥٠ كم ومساحتها ٦٠٧ هكتار وتقوم بتربية الحيوانات الى جانب الزراعة وجميع العاملين فيها من الشهود الذين يكرسون حياتهم لذلك العمل ثم للوعظ والتبشير .

اعداد الشهود في العالم :

بلغ مجموعهم في العالم لسنة ١٩٧٠ (١٢٢ر٣٢١ر١) وارتفع ذلك سنة ١٩٨٠ الى اكثر من مليون ونصف منتشرين في نحو /٢٠٠/ بلد .

وعددهم حسب احصاء ١٩٧٠ في :

الولايات المتحدة :	**٣٦٠ الف نسمة**	**فرنسا :**	**٣٢ الف نسمة**
البرازيل :	**٥٨٠ الف نسمة**	**الارجنتين :**	**٥ر١٦ الف نسمة**
المانية الغربية :	**٥ر٨٣٠ الف نسمة**	**لبنان :**	**٣٢ر١٠ الف نسمة**

واعدادهم متباينة في الوطن العربي وينشطون في لبنان والاردن والمغرب وغيرها ..

بعض عقائد الشهود :

يرفض شهود يهوه فكرة الثالوث المقدس المسيحية ، وينكرون خلود النفس ويهاجمون الاديان ماعدا اليهودية كقولهم : المسيحيون على اختلاف طوائفهم والمسلمون والوثنيون (لاحظ انهم لايذكرون اليهود) كل هؤلاء مع تعدد الطرق يعبدون المخلوق دون الخالق(١٥) .

ـ ولخدمة اهداف الصهيونية البعيدة فانهم يدعون لنسف النظام الدولي العالمي بروح عدائية واضحة نجد بعض ملامحها في مقررات مؤتمر بال الصهيوني ١٨٩٧ او (بروتوكولات حكماء صهيون)

يقولون « لابد من تحطيم نير الحكام واستئصال جذور الحكومات من الارض لان فسادهم يحول اي جدوى لرعاياهم »(١٦) ، « الا فليعلم القاصي والداني ان شهود يهوه لا يؤدون التحية لاي علم من اعلام الارض »(١٧) .

« ان الشيطان هو اله هذا العالم ، وان قادة الامم والزعماء هم نوابه على الارض وانه لا توجد امة واحدة على الارض تستطيع بحق ان تدعي ان يهوه هو الهها »(١٨) .

ويتبعون اسلوب زرع الخوف في قلوب الناس مؤكدين لهم قرب نهاية العالم .

صلة حركة شهود يهوه بالصهيونية :

تبين لنا مما سبق الاثر الكبير للايديولوجية الصهيونية في فكر الشهود ومنهجهم وهدفها المنشود في تحقيق الاحلام التوراتية للصهاينة الغزاة . واقامة الكيان الصهيوني على ارض الميعاد .. وسنورد بعض النصوص من كتبهم ونشراتهم .. تدين هذه الحركة بارتباطها اساسا بالحركة الصهيونية :

يقولون : كل دولة او حكومة لا تقوم على اساس التيوقراطية كما قامت وتقوم الصهيونية فهي فاسدة تعادي يهوه وتحالف ابليس »(١٩) .

وهم يؤكدون في تعليماتهم ان الذين يفوزون في الدنيا ويقبلون في الملكوت السماوي او المختارون استنادا لتاويلهم الحرفي لرؤيا يوحنا هم (١٤٤) **الف شخص وهؤلاء جميعهم من اسباط بني بني اسرائيل حصرا(٢٠) .**

وفي تعليلهم للصلة بين الله واليهود واسباب المحن التي لحقت بهم يدعون ان الله اسبغ على اليهود عهد نعمة انتهى سنة ٧٣ م ومدته (١٨٤٥) سنة ، ثم اذلهم لعهد نقمة ومدته ايضا (١٨٤٥) والذي ينتهي سنة ١٩١٨ (٧٣ م + ١٨٤٥ = ١٩١٨) وهو تاريخ الشروع في تنفيذ وعد بلفور ويشيرون الى ان عهد النقمة اخذ بالتقلص قبل

النهاية باربعين سنة اي ١٨٧٨ تاريخ انبثاق الفكرة الصهيونية ، وان العهد الثالث من تاريخ اليهود هو عهد النعمة والخير وقوامه الاساسي قيام « دولة اسرائيل » . ورايتنا كيف وصف روثر فورد احد قادة حركة الشهود .. الصهيونية بـ (الحركة الالهية) وينعت فورد هرتزل قائد الحركة الصهيونية بالطف النعوت « فهو المرسل من الله والمبارك من الله وهو المحبوب جدا »(٢١) .

وقد استبشر الشهود خيرا بوعد بلفور ، وهللوا لقيام الكيان الصهيوني على ارض فلسطين وعدوا ذلك المصداقية لنبوءات التوراة وما ادعاه روسل حول قيام مملكة العام الالفي .

وتعمل حركة الشهود في اطار من السرية الكاملة ومن خلال جهاز اداري ضخم مركزه الولايات المتحدة ويتبع له جيش كبير من الاعضاء المنتشرين في جميع انحاء العالم وهم يتلقون الدعم والتاييد المادي من الحركة الصهيونية لتغطية نفقات طباعة الكتب والنشرات التي يصدرونها .. وهم الاحتياط الدائم لها في جميع الاقطار لتايدها ، والوقوف ضد القومية العربية وقضية فلسطين .

اهم كتب ونشرات الشهود :

١ ـ ليكن الله صادقا
٢ ـ الحق يحرركم
٣ ـ الخلاص
٤ ـ قيثارة الله المصالحة
٥ ـ الحكومة
٦ ـ نظام الدهور الالهي
٧ ـ من سيحكم العالم
٨ ـ النصر المكرس لمجد يهوه
٩ ـ عقائد شهود يهوه
١٠ ـ ملايين من الاحياء اليوم لن يموتوا ابدا
١١ ـ ملكوت الله
١٢ ـ الغنى
١٣ ـ اقتراب شفاء الامم
١٤ ـ فرح كل الشعب
١٥ ـ الخليقة
١٦ ـ مجلة التعزية
١٧ ـ مجلة برج المراقبة (نصف شهرية)
١٨ ـ مجلة استيقظوا

الموقف من شهود يهوه :

عدت جميع الكنائس المسيحية الرئيسة ومعظم الطوائف .. حركة شهود يهوة بدعة تنافي معتقداتها وهي خطرة على ايمان اتباعها وانها حركة صهيونية متسترة بالدين المسيحي .

وان اتباع تلك الحركة قد يظهرون بتسميات اخرى مثل **(السبتيين)** او **(المؤمنين المتجددين)** وان اتباع تلك الجماعتين لا يختلفون من حيث العقيدة والاهداف عن حركة الشهود ..

وقد وجهت كنائس الطوائف الارثوذكسية والكاثوليكية والمارونية والانجيلية البروتستانتية النداء الى رعاياها باعتبار جماعة الشهود والسبتيين والمؤمنين المتجددين خارجين عن الكنيسة والايمان واكدوا ضرورة رفض استقبال المبشرين بتلك البدع وعدم الانخداع بمظاهرهم وان هدف حركة شهود يهوه في النهاية الانحلال الديني والوطني والادبي عند الشعوب فلا تقوى على الصمود امام الزحف الصهيوني(٢٢) .

كما تنبهت الدول العربية وبعض الدول الاجنبية الى **خطر بدعة شهود يهوه ولا سيما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية على الصعيد القومي فصدرت عدة قرارات عن جامعة الدول العربية وبعض الاقطار العربية الاخرى :**

ـ ففي سورية صدر قرار بمنع وجود ونشاط الجماعة الشهودية بتاريخ ١٩٥١/٨/٢ رقم ١٣٧٣ .

ـ وفي لبنان تم رفض الاعتراف بحركة الشهود ومنع نشاطها بتاريخ ١٩٥٤/٤/٢١ رقم ٧٠٨ وتاكيد ذلك ايضا بتاريخ ١٩٥٤/٨/١٤ بكتاب آخر رقم ٥٢٤٦ .

ـ اما في مصر فقد صدر قرار وزاري بمنع تلك الحركة ومصادرة اموالها بتاريخ ١٩٦٠/٦/٢ تحت الرقم /١٥٥/ .

– وبتاريخ ١٩٦٥/٦/١٦ اوضحت جامعة الدول العربية ان قرارها المرسل الى الحكومة الاردنية آنذاك حول منع اي نشاط لحركة شهود يهوه لا يقتصر على الاردن وحدها بل يشمل جميع الاقطار العربية .

– كما ان القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العربي السوري – مكتب الاعداد القطري ، وجهت تعميما رقم ٢٢٥٨/ص تاريخ ١٩٨٧/٣/١٠ **تبين الحركة وانها نتاج الامبريالية العالمية المتحالفة مع الصهيونية بهدف انشاء الكيان الصهيوني واستمراره ... وانها احد اشكال التضليل الايديولوجي للجماهير الشعبية .**

واخيرا ...

فان حركة شهود يهوه بمضمون اهدافها ونشاطاتها **ماهي الا سلعة بوجه جديد للايديولوجية الصهيونية في التاريخ الحديث ...** واذا كانت الصهيونية تمثل المسألة الوطنية التي خلقتها السياسة البريطانية والبرجوازية الاوربية واليهودية في عصر اعلى مراحل الراسمالية وبداية تراجعها لاستخدامها كاداة منظمة فاعلة مندمجة في مختلف الظاهرات الاستعمارية – الامبريالية المعاصرة ..

فان حركة شهود يهوه .. تمثل في حقيقتها المضمون السياسي والاجتماعي للفكر الصهيوني مضافا اليه مختلف الاشكال والتراكمات التوراتية التي وضعها الاحبار السباة في بابل .. انها اشبه باوهام دراويش الشرق .

هوامش :

(٢) يهوه : اسم اطلقته التوراة على الله اوحي به الى موسى على جبل باقامة وطن قومي لليهود من غير اليهود ، ويطلق عليهم اسم (الغوييم) .

(٢) يهوه : اسم اطلقته التوراة على الله اوحي به الى موسى على جبل حوريب « المنجد في الاعلام ص ٧٥٢ »

(٣) الفريسيون : جماعة متشددة من احبار اليهود .

(٤) وقع سنة ٥٨٦ ق.م عندما سبى الملك العربي الكلداني الحكيم نبوخذ نصر اليهود من مملكة يهوذا اثر خياناتهم . الى عاصمة دولته بابل .

(٥) المذهب الانغليكاني : حمل ذلك التسمية نسبة الى انكلترا . وهو مذهب بروتستنتي اصبح المذهب الرسمي للدولة بعد انفصال كنيسة انكلترا عن روما في عهد الملك هنري الثامن وقد واصل ادوارد السادس تثبيت اركان المذهب وانهته اليزابيت الاولى سنة ١٥٦٢ (المنجد في الاعلام ص ٨١)

(٦) راجع ليكن الله صادقا ص ١٥٥

(٧) في كتابه artecalealistica

(٨) في كتابه apocalypsis apocalypscos

(٩) البيورتان أو الاطهار طائفة من البروتستانت تمسكت بالامور الروحية واضطهد اعضاؤها من قبل اتباع المذهب الانغليكاني الرسمي للدولة .

(١٠) عن كتاب الصهيونية غير اليهودية تأليف ريجينا الشريف ترجمة احمد عبد عبد العزيز ص٧٩ – ٨٦ منشورات عالم المعرفة

david polk. Back drop to trogedy (Boston 1957) P 40

(١٢) راجع كتاب التوراة والسيف لبربارة توخمان .

(١٣) بروكلين (Brooklyn) : حي من احياء نيويورك عند مصب نهر هدسن عدد سكانه ...ر٦٢٧ر٢ ن « المنجد في الاعلام ص ١٢٩

(١٤) راجع ليكن الله صادقا ص ٢٢٨ – ٢٢٩ – ٢٣٦

(١٥) من كتاب نظام التحرر الالهي ص ١٠

(١٦) من كتاب من سيحكم العالم ص ٢١

(١٧) ليكن الله صادقا ص ٢٨٧

(١٨) النصر المكرس لمجد يهوه ص٧

(١٩) الحكومة « المقدسة » .

(٢٠) ورد في سفر رؤيا يوحنا الاصحاح السابع :

ورايت ملاكا آخر طالعا من مشرق الشمس ومعه ختم الله الحي فنادى بصوت عظيم الى الملائكة الاربعة الذين اعطوا ان يضروا الارض والبحر . قائلا لاتضروا الارض

ولا البحر ولا الاشجار حتى نختم عبيد الهنا على جباههم . وسمعت عدد المختومين بمئة واربعة واربعين الفا مختومين من كل سبط من بني اسرائيل » ثم بعدد الاسباط

(٢١) « الالاف ملايين من الاحياء اليوم لن يموتوا ابدا » بروكلين ١٩٢٠ .

(٢٢) وجهت معظم الكنائس في نشراتها بيانات حول ذلك في سورية ولبنان ولاسيما مجلس اساقفة زحلة والبقاع المنعقد بتاريخ ١٩ — ٢ — ١٩٨٥ ، راجع مجلة الرسول العدد ٣ — اب ١٩٨٥ — مقالة المطران اندره حداد . مجلة المسرة لعام ١٩٥٩ و ١٩٦٠ . سلسلة الايمان الحي ١٣ ، ... الخ

مصادر البحث

١ — العهد القديم	
٢ — العهد الجديد	
٣ — التوارة والسيف	بربارة توخمان
٤ — التاريخ النقدي للعهد القديم	بشار سيمون
٥ — قصة الحضارة	وال ديورانت
٦ — الوعود الالهيــة	هوفت جزر
٧ — الصهيونية في اليهودية	ريجينا الشريف/ترجمة احمد عبدالله عبدالعزيز
٨ — سلسلة الاعداد الحزبي	حزب البعث العربي الاشتراكي (الجزء الرابع)
٩ — وجها لوجه مع شهود يهوه	جبرائيل فرح — من سلسلة الايمان الحي المطبعة البولسية ، لبنـــان
١٠ — شهود يهوه في الميزان	
١١ — القدس — مجموعة شعرية	خليفة التونسي
١٢ — بروتوكولات حكماء صهيون	وليم بليــك
١٣ — المنجد في اللغة والاعلام	
١٤ — مجلة الرسول	١٩٥٩ شهود يهوه جهاز سري ص ٥٩٩
١٥ — مجلة المسرة	عدد اب ١٩٨٥
مجلة المسرة	١٩٥٥ شهود يهوه حركة صهيونية ص٦٥٢
مجلة المسرة	١٩٦٠ علاقة شهود يهوه بالصهيونية ص ٥١١
مجلة المسرة	١٩٦٠ حقيقة جماعة شهود يهوه ص٧٥٩
١٦ — مؤلفات شهود يهوه	(الواردة في البحث

18 — AL bert H. Iyamson, palestine under the nandate P 40.

18 . . AL bert H. Iyamson, palestine under the nandati (London). 1950. P. 10.



دراسات فكرية

اشكالية العلاقة بين الوعي والوجود الاجتماعيين ..

الرفيق خيري حما

أستطيع التوكيد أن ايجاد حلول علمية — اجتماعية تاريخيـة صحيحة لاشكالية العلاقة القائمة بيـن كـل مـن الوعي الاجتمـاعي والمجتمع الانساني العاكس له يمكن أن يؤدي الى فهم أدق وأعمـق للظواهر الاجتماعية المختلفة ووفقا لسياقهـا التاريخـي التطـوري ونتيجة التحليل العلمي — المنهجي لهذه الظواهر يصبح بالامكان تجنب الوقوع في مطب الفهم الميكانيكي للافعال الاجتماعية وعدم الانسياق وراء مظهرها الحسابي ولعل أهم شرط موضوعي لانجاز هذا التحليل هو النظر الى هذه الظاهرة او تلك بمعيار وحدتها وفي اطار علاقاتها المتبادلة وتفسير صحيح لطبيعة ومواقع القوى الاجتماعية المحركة لها ومسارية تطورها الاجتماعي .

هذه المسالة المثارة في هذه الدراسة العلمية — كمـا اتوخى — وفي غيرها من الدراسات المشابهة تكتسي اهمية كبرى من ناحية ابراز ما للوعي الاجتماعي من دور بارز وخطير على صعيد العمليـات

الاجتماعية وعلاقتها بمختلف الظواهر الاخرى المرتبطة بالاقتصاد والسياسة والفكر الخ ٠٠ الخ ٠٠ ولقد تصدت العلوم الاجتماعية ردحا من الزمن وما تزال لهذه المسالة وقدم التفكير العلمي الاشتراكي اسهامات شتى لتفنيد وجهة النظر البرجوازية وتراكماتها النظرية التاريخية واسقاط الاوهام المثالية والتحريفات الايديولوجية المضللة التي تعكسها وفضح اغراضها الاجتماعية الاستغلالية البراغماتية ، وهذه الاسهامات النظرية جاءت وفقا لفهم مادي وجدلي خلاق لمابين الوعي والكيان الاجتماعيين من اشكالية خاصة يخدم حلها جماهير الكادحين على اكثر من صعيد وصعيد ٠ ولقد أرتاينا اجراء دراسة مستقصية هنا حول ماهية الوعي الاجتماعية ومفاهيمه واشكاله وشروطه الذاتية والموضوعية وتطوره عبر التاريخ وعلاقته بكلا التفكيرين العلمي الاشتراكي والمثالي البرجوازي من جهة أولى وبالتقدم الاجتماعي من ناحية ثانية وعلاقته بالاحزاب الثوريةودورها التاريخي المنوط بها في بلدانها ثم فهم البعث لهذه العلاقة وجدليتها الخلاقة وحاجاته النظرية منها كما يعبر عنها الواقع العربي اليوم من ناحية ثالثة واخيرة ٠

اولا : في الوعي الاجتماعي (الماهية ـ المفاهيم ـ الاشكال ـ التطور عبر التاريخ) :

ان الحديث على نحو دقيق في موضوعة الوعي الاجتماعي واهميتها الكبرى لا يمكن ان يتخذ طريقه العلمي المنهجي الا في ضوء تحديد تعريف اجرائي مقنن له يكون بمثابة المقدمة الاولى والصحيحة للبحث في جميع النقاط المتصلة به من هنا وهناك ولقد اخذت الدراسة بالتعريفين التاليين:الوعي الاجتماعي هو : « **مجموعة الاراءالسياسية والحقوقية والاخلاقية والفنية والفلسفية والدينية والمعارف العلمية**

الموجودة في المجتمع المعني » (١) أو هو كما يقول لينين : « الاراء والتعاليم المختلفة ، هو انعكاس الوجود الاجتماعي بكل تنوعه ، هو انعكاس العلاقات الاجتماعية التي تم تكوينها في نظريات لآراءمتنوعة سياسية وحقوقية ودينية وفلسفية وعلمية واخلاقية وفنية » (٢) ٠

وانطلاقا من هذين التعريفين تحددت ماهية الوعي الاجتماعي على نحو واضح ودقيق هذه الماهيةالتي اكدتهامقولة الفلسفةالاجتماعية التقدمية بأن الوعي الاجتماعي هو نتيجة انعكاسية للوجودالاجتماعي نفسه ، هذه (المقولة ـ الحقيقة الاجتماعية التاريخية)التي كشفت زيف المقولة المثالية الفلسفية الاجتماعية البرجوازية التي تدعي بأن **الوعي الاجتماعي هو اسبق بالوجود من الوجود الاجتماعي نفسه للبشرية من الناحيتين المنطقية والادراكية اذ ترى ان لاوجود للوجود الا في حيز الوعي نفسه** ، هذه المقولة التي تهدف الى التحريف والتضليل والتعمية خدمة لاغراضها البراغماتية الطبقية في الهيمنة والاستغلال ٠

وفي معرض تاكيدنا للموقف الفلسفي العلمي التقدمي نسوق هنا بعضا من الادلة والبراهين التي تثبت سلامة وصحة استنتاجاته النظرية وهذا يعني اننا سندخل مباشرة في مناقشة المفهوم المعبر عنه والاشكال والخصائص والاهداف التي يشير اليها ٠

ان مفهوم الوعي الاجتماعي يعكس تجريدا دقيقا لمعنى وماهية المجتمع الانساني وفهم كل ما يصدر عنه من عمليات اقتصادية ـ اجتماعية ـ سياسية .. الخ .. وما تمثله من علاقات مادية معينة نابعة من الانتاج ووسائله والحامل الاجتماعي والجغرافية المحيطة به وله، على اساس التفريق بين نشاطية هذا الحامل الاجتماعي الذي

(١) بودوستنيك وسبيركن : عرض موجز للمادية التاريخية . ترجمة علي بشناوي ، دار الفارابي ، ط ١ سنة ١٩٨١ ، ص ١٣٧ .

(٢) ف.ا. فومنيا : الوعي الاجتماعي وقوانين تطوره . ترجمة د. فؤاد مرعي ، حلب ، دار الفجر ، ط ١ ، سنة بلا : ص ١٦ .

يدور في فلك الوجود الاجتماعي نفسه وبين نشاطيتـه الديناميـة الدائره في مجال وعيه الاجتماعي ذاته . وهذا التبايـن - او اذا شئت التفريق - يعكس في حقيقة الامر جوهر البنية الاجتماعيـة المادية التحتية المعبرة عن علاقات الانتاج في الـ (تحت) وهو المعيار الرئيـسي والاول **(نشاطية الحامل الاجتماعي الدائر في فلك الوجود الاجتماعي)** كما يعكس شكل هذه العلاقات في آراء ونظريات قيمية ايديولوجية في البنية الاجتماعية الفوقية اي في الـ (فـوق) مـن المجتمع البشري وهو بذلك يشكل المعيار الثانوي والتالي **(نشاطية الوعي الاجتماعي ذاته)** وهما بهذا المعنى والتحليل يكتسبان صفـة شمولية باستقلالية نـسبية معينة من حيث دلالة كل منهمـا علـى نشأة وتطور وتعقد الظواهر الاجتماعيـة .

ومن خلال ما تقدم من شرح لماهية ومفهوم الوعي الاجتماعـي يمكن استشفاف الاشكال التي يتخذها في هذا المجتمع أو ذاك وهي **ليست في جميع الاحوال الا تراكمات العلـوم المختلفـة وفلسفاتهـا وانساقها القيمية الايديولوجية الاخلاقية والحقوقية والدينية والفنية. الخ .. الخ ..** ولا بد من التركيز هنا على **أن تعددية هذه الاشـكال لا يعني باية حال انفصالها او عزلتها بعضها عن بعض بل يجب تاكيد وحدتها بوصفها نابعة من بنية اجتماعية متماسكة واحدة على الرغم من وجود هذه النسبية الاستقلالية لكل منها فيما بينها بحسـب بعدها أو قربها من موضوع انعكاسها اي من الوجود الاجتماعـي نفسه القائمة منه .** وهذه النتيجة تفصح ببيان عن تفرد كل شكل مـن **هذه الاشكال** ببعض الخصائص الذاتية المتعلقة بتطورها في نفسـها **وهو ما يشير في الوقت نفسه وجمعا الى ما سبق أن وكدناه وهو ذلك القدر الكبير من الاستقلال النسبي للوعي الاجتماعي عن الوجـود الاجتماعي العاكس له وانفراده ببنية ذاتية خاصة به حـاوية فـي نظامها الداخلي كل العناصر المؤلفة لها والدرجات المعبرة عنهـا في تركيبه وفقا لدور اي منها في تشكيل الوعي الاجتماعي مضمونـا وشـكلا ..**

لقد برهن المسار العام للتطور البشري وتشكيلاته الاجتماعية الخمس المتعاقبة (مشاعية بدائية - رق - اقطاعية - راسماليـة - اشتراكية) على صحة التحليل العلمي السابق لموضوعة الـوعـي الاجتماعي ماهية ومفهوما وذلك من حيث **فهم وأستيعاب الية توزيع العمل وتقسيمه ونظام الملكية الخاصة لوسائل الانتاج والصراع الطبقي ومسببات ظهوره وعلاقته بنظام العمل وتقسيمه واليته ثم الصور التي عبر عنها هذا الصراع وخاصة منها تلك التناقضات التناحرية التي غالبا ما عكست حقائق هذا الصراع بين علاقات الانتاج القـديمـة والجديدة وكانت نتائجه ضرورة تاريخية عبرت عن نفسها بشـكل ثورات اجتماعية تحدد شكلها ومحتواها وفقا لنتائج هذا الصـراع قبل وفي اثناء وبعد حسمه لصالح قوى الانتاج الجديدة ،**

ومع هذه المسارية التطورية التصاعدية مع تتالي التشكيـلات الاجتماعية عبر التاريخ البشري **ترافقت اشكال الوعي المنبثقة منهـا** وتطورت مع تطورها واكتسب بذلك خصائص مميزة اتية كالظروف المتبدلة دومـا والعـادات والتقاليـد والآراء والمنظومـات القيميـة والايديولوجية بطيئة التبدل والفلسفة والعلوم الخ .. الخ .. ومعروف أن هذا الجانب الاتني (محتوى الوعي الاجتماعي من هذه الـزاويـة تحديدا) قد أشار الى الطبقة التي تدافع عنها وتعكس مصـالحهـا الطبقية على نحو آخر فلقد أكدت الفلسفة العلمية الاشتراكية التقدمية أن الافكار التي توجد في عقول البشر والاهداف المنشودة التحقـق التي يرسمها هؤلاء أمام أنفسهم والعواطف التي يشعرون بهـا انما تنشأ جميعها **استجابة موضوعية لظروف وجودهم المادية ضمن مثلث العلاقة ما بينهم والطبيعة أولا وما بينهم هم انفسهم ثانيا ومابينهـم وبين القوى الاجتماعية المنظمة والمنتجة التي تحدث التغيير الاجتماعي ثالثا** كما اكدت تلك الفلسـفة الانسانية التقدمية -بناء على ذلك -ان نتائج جميع العمليات الاجتماعية انما تحدث وفقا **للنشاط الانساني الواعي لها** من ناحية اولى ولحركة قوانينها الداخلية من ناحية ثانية

ولمسار حركة قانونية التبعية المتبادلة من ناحية ثالثة وفي هذا التأكيد العلمي ما ينسجم مع قانون التطور الصاعد الذي يعكس في احدى جوانبه تلك الحقائق التاريخية - الاجتماعية من تكيف لعلاقات الانتاج مع الانتاج نفسه ثم مع الفعل الاجتماعي وحامله ووسائل حياته التي ينتجها ومع الطبيعة حوله على نحو تراكمي مما يجعل امكان حدوث النقلة النوعية امرا قائما وهو في الوقت نفسه يوضح الكيفية التي ارتقى فيها هذا الحامل الاجتماعي تقدميا من مرحلة اجتماعية تاريخية معينة الى مرحلة اعلى .

ومن اجل فهم ادق للشكل الاجتماعي الاعلى للوعي كان لابد من تفهم الاشكال الاولى لهذا الوعي ولذلك فنحن هنا نميز بين شكلين اساسيين له وهما :

١ - الشكل الذاتي للوعي : وهو ما يعني الوعي الفردي عند الحامل الاجتماعي له حيث أن هذا الحامل وفي كل مجتمع انساني يقوم على نحو فردي بمحاولة تفهم واستيعاب لما يجري من نشاط وظواهر في البنية التحتية للمجتمع وتحليلها على نحوخاص وتقويمها ذاتيا من خلال معاناته الفردية ومن زاوية خلاصه الفردي . ان دراسة هذا الشكل البدائي من اشكال الوعي وتحليله علميا يجعل من الممكن تحديد درجة فهم الكائن الاجتماعي ووعيه الذاتي بوصفه فردا وتفسير منظومته السلوكية ، صحيحها من عدمه ، وتفهم آرائه الخاصة على اعتبار انها لا تمثل فقط انعكاسا لحياته الشخصية وللظروف المادية الخاصة بوجوده وانما تمثل ايضا المحتوى الاجتماعي المحدد في المجتمع الانساني الذي يحيا ضمن دائرة علاقاته التحتية والفوقية معا .

وبهذا المستوى من الوعي الذاتي وتعبيره الجزئي عن الوجود الاجتماعي كما هو اصلا وموضوعيا في علاقاته والمصالح الاقتصادية

المعبرة عنها يمكن فهم المرحلة الاولى من عمليةتشكل الشكل الاجتماعي الاعلى للوعي .

ب - الشكل العادي للوعي : وهو ما يعني ادراك الجماعة الانسانية للوجود الاجتماعي بكل ما يعنيه من علاقات ومظاهروظواهر ادراكا غير منظم وغير دقيق وغير كلي وهو بهذا المعنى فانه يحيط بموضوع الوجود الاجتماعي من الناحية السطحية انعكاسيا . ففي هذا المستوى تتعامل الجماعة الانسانية مع العلاقات المادية تعاملا غير واع لها من حيث عدم تفهمها لموقعها فيها ولموضعيتها وعدم استيعابها لعمليات التطور التاريخي وعدم امتلاكها لنظرة علمية شمولية للوجود البشري . وبدراسة هذه المرحلة من اشكال الوعي ايضا يمكن ادراك الشكل الاعلى للوعي اي الوعي الاجتماعي ذاته ومراحل نضجه التي مر بها والخصائص التي اكتسبها نتيجة لذلك بوصفه التعبير العلمي الدقيق والمنهجي الذي يعكس موضوعه (الوجود الاجتماعي) بكل ما يحتويه من علاقات موضوعية والمصالح المعبرة عنها وعلى نحو شمولي وواضح . ولذلك يجب عند دراسة اشكالية الوعي الاجتماعي توكيد اهمية وحدة اشكال الوعي كلها وجدل العلاقة بينها لانهابذلك تفضي الى بروز الوعي الاجتماعي وتحديد جوهره ماهية ومفهوما واشكالا وتطورا عبر التاريخ ، باعتباره المستوى الاعلى من اشكال الوعي .

وبعد هذا نستطيع ان نشير الى ان احدى اهم اهداف الوعي الاجتماعي هو عملية تمليك الجماهير هذا الوعي اي بان تعي هذه الجماهير ذاتها اولا وان تعمل لاجل هذه الذات ثانيا . اذ من المؤكد تاريخيا ان الجماهير المضطهدة عندما تحوز المعرفة والفهم لظروفها الموضوعية والذاتية تاريخيا واجتماعيا من الناحيتين الطبقية والمصلحية فان هذا السلاح النظري سيمكنها من اختيار طريق كفاحها على نحو صلب وعنيد ضد قوى الاستغلال والاضطهاد وتحقيق النصر عليها .

ومن اجل ايجادذلك الطريق الثوري للتغير الاجتماعي المنشود في

هذا الانجاه لصالح الطبقات المقهورة لا بد من الاخذ بالنظرية المعرفية العلمية التاريخية التقدمية كشرط ناقص لاغنى عنه وعبرها فقط يمكن ايضا التصدي لاشكالية العلاقة بين الوعي الاجتماعي والمجتمع الانساني بوصف هذا المجتمع مؤسسة متشابكة في علاقاتها وظواهرها وصلاتها الاقتصادية والاجتماعية المختلفة التي ينهض منها العمل الانتاجي وتمتاز بنظام داخلي خاص لجميع العوامل المؤلفة لها توليفا وتنافقا .

ثانيا – الوعي الاجتماعي والفعل الاجتماعي والتقدم الاجتماعي:

قلنا ان المجتمع البشري يتكون اساسا من الناس المنتجين ماديا ومعنويا ومن علاقاتهم الانتاجية بخصوصيتها الطبقية – التاريخية وهو بهذا المعنى تجريد لاشكال اجتماعية تعكس تطوره وتغير وسطه وخصائصه الجديدة التي يتخذها من حيث ظهور قوى وعلاقات انتاج جديدة تقوم على نحو مستقل نسبيا عن ادراك هؤلاء الناس وارادتهم سواء في اثناء عملية الانتاج نفسها التي أدت الى هذا التغير او ذاك او فيما بعدها ولذلك شكلت هذه العلاقات القاعدة الاقتصادية للمجتمع الذي تنشأ عليه الآراء الاجتماعية والمؤسسات الحقوقية والسياسية الخ ٠٠ وبدهي انه عند حدوث التغير الاجتماعي ذاك يترتب عليه الغاء النظام القديم لتلك المؤسسات ووضع نظام جديد لها ووضع قوى الانتاج في مسار جديد كقوة اجتماعية فعالة ومؤثرة في البنية التحتية للمجتمع والفعل الاجتماعي هذا لا يشكل حينئذ فعلا متبادلا ميكانيكيا انما يكون تغيرا في كم واتجاه حركة كلا البنيتين التحتية والفوقية بآن معا ويعكس في الوقت نفسه تطورا وارتقاء واشكالا جديدة من وجود العلاقات المادية او حركيتها والقانونية هذا الوجود وتلك الحركة وفقا لمنطق الجدل الخلاق . وبدهي ايضا ان الفعل الاجتماعي الجديد هذا لا يحدث بصورة عمياء او بمعزل عن الوعي الاجتماعي المنظم والهادف فهذا يؤدي الى ذاك بالضرورة وذاك يوصل الى هذا ٠٠ وهكذا دواليك وهذه المرة ايضا وفقا لقوانين الجدل وحركيته الدينامية النشطة ٠

ونحن اذا ما اردنا ان نفسر ونحلل ونفهم التقدم الاجتماعي من هذه الزاوية فاننا ولاشك سنتفق مع وجهة النظر التي تعتبر انه لايمكن النظر الى العامل الاجتماعي نظرة ميكانيكية ترى فيه الثبات والدوام والخواص الثابتة المحددة اي بوصفه ذاتا اجتماعية منحته الطبيعة خصائص معينة كامنة فيه وله حقوق وعليه واجبات محددة يؤديها موضوعيا في نطاق فعله الاجتماعي ووجهة النظر هذه لانها كذلك ولانها مقولة برجوازية تخدم الايديولوجيا البرجوازية ومصالحها الطبقية فإننا نرفضها علميا وتقدميا فلقد اكدت الفلسفة الاشتراكية التقدمية ان البشر لا يتغيرون وفقا لظروفهم المتبدلة وكنتيجة غير مباشرة لافعالهم الانتاجية على نحو ميكانيكي بل لانهم موضوعيا يتغيرون في اثناء عملية انتاجهم وهم يعملون لتغيير علاقات هذا الانتاج وكنتيجة لها وهذه الحقيقة الاجتماعية العلمية تكشف جانبا كبيرا من عملية جدلية التطور الاجتماعي والتقدم الذي يعنيه على صعيد البشرية ٠

كما اكدت تلك الفلسفة التقدمية أن حل التناقضات هو الدافع القوي للتغير الاجتماعي وهو وحده الذي يخلق الظروف الذاتية لاحداث هذا التغير ويجعله ضرورة تعبر عن نفسها بهذا الفعل الاجتماعي او ذاك وبعد أن يحدث التغير تجري عملية التطور ، هذا التطور باعتباره تغير تحكمه قوانين داخلية ويرتقي من مرحلة الى اخرى وهنا يمكن الاستنتاج أن قانونية التطور الاجتماعي انما تستند الى المعادلة الاجتماعية التالية : البشر ينتجون ويدخلون فيما بينهم بعلاقات انتاجية معينة ترتبط بدورها بمسالة ملكية وسائل الانتاج وباسلوب توزيع الخيرات المادية والتي تقرر في كليتها محتوى وشكل البنية الاقتصادية التحتية للمجتمع وعلى نحو مستقل عن هؤلاء البشر ولكن ضمن عملية توافق مع طبيعة قواهم المنتجة

وبعد هذا يكون التقدم الاجتماعي هو التطور بعينه الذي تعبر عنه العلاقات الانتاجية الجديدة دوما وكذلك الافكار الاجتماعية والتنظيمات الاجتماعية التي تصوغها وتطرحها ضمن المؤسسات الجديدة محددة بذلك محتوى وشكل الوعي الاجتماعي في ظرف حاسم ودقيق ومحدد للغاية .

ان فهم اشكالية التغير والتطور الاجتماعيين والقوانين التي **تحكمهما فهما علميا وفي اطار علاقتهما مع كل من الوجود والوعي** الاجتماعيين سيؤدي بالضرورة الى **امكان التحكم بتوجيه مسار التطور وتحقيق التقدم الاجتماعي المنشودعلىنحو مغاير للمفهوم البرجوازي التعسفي واللا علمي لتلك الاشكالية واسقاط الافتراضات العقائدية الجامدة او الميكانيكية او الميتافيزيقية ودحض الافكار الاجتماعية المثالية واوهامها الزائفة وايقاع الهزيمة بروادها الطبقيين والقائهم في مزبلة التاريخ كما يقال .**

ان الحقيقة التي اكدتها الاشتراكية العلمية هي ان التقدم الاجتماعي **لا يشكل بحد ذاته غاية ذاتية او غاية غامضة في المجتمعات البشرية ولا يجوز البحث فيه على نحو مجرد ايضا او بالنظر اليه نظرة بيولوجية متعسفة بل هو هدف متجدد ودائم للبشرية يوضح مراحل تطورها المتعاقبة** (التشكيلات الخمس المتعاقبة) ومقياسه العلمي الاولي هو المستوى الذي بلغه تطور قوى الانتاج في اطار وحدتها مع العلاقات الانتاجية والمقياس العلمي الثاني له والمرتبط ارتباطا وثيقا مع المقياس الاول هو ذلك التقدم الذي يستطيع ان يستطيع ان يفسح مجالا ارحب لتطور القوى المنتجة ويدفعها نحو مستوى اعلى وبوتيرة اسرع وبشكل لتوقف فيه مختلف علاقات البنية الفوقية للمجتمع الانساني على هذا التقدم ويكشف بالوقت نفسه الدرجة **التي بلغها الحامل الاجتماعي في السيطرة على الطبيعة من ناحية اولى وفي نضج النظام الاجتماعي الذي وصل اليه من ناحية ثانية واخيرة .**

ان جميع المسائل الشائكة السابقة لا يمكن التصدي لها على الصعيد النظري ـــ المعرفي ما لم يكن هناك **حل علمي منهجي تقدمي وفق تعاليم الفلسفة الاشتراكية التقدمية يكون بمكنته اولا وضع حلول حاسمة وشافية وصحيحة لاشكالية العلاقة بين كل من الوعي والوجود الاجتماعيين من منطلق ايديولوجية ثورية لها حاملها الاجتماعي المنظم والفاعل والمؤثر بآن في محيطه والقادر على التغير وفقا لقانونية التطور الموضوعية وبما يكفل قطع شوط على طريق التقدم الاجتماعي المرغوب فيه وبهذا المعنى تحتل قضية الوعي الاجتماعي اهمية كبرى** في النظر الى هذه المهمة التاريخية المطروحة اساسا على الاحزاب الثورية والتقدمية في العالم والعمل على حلها علميا كما قلنا .

ثالثا : الاحزاب الثورية واشكالية الوعي الاجتماعي :

كنا قد ذكرنا في ابحاث سابقة ان اي حزب ثوري يفتقر الى فلسفة علمية ـــ معرفية تقدمية توضح مواقفه وفهمه للكون من طبيعة وبشر لسوف يكون مآله **التخبط والانهيار والتفتت** والامثلة ليست قليلة على ما ذهبنا اليه سواء منها تلك الاحزاب التي كانت قائمة في عدد من دول اميركا اللاتينية وانتهى دورها التاريخي وتجاوزتها قوى ثورية جديدة اوتلك التي في افريقيا اوآسيا فالثابت انكل حزب ثوري اراد قيادة الجماهير الكادحة في البلد الذي نشأ فيهوان ينجح ويستمر في هذه القيادة من اجل تحقيق الاهداف والشعارات التي نادى بها لابد له من فلسفة ثورية تحدد نظرته الشمولية للكون من طبيعة وبشر وعلى الاساس منها يقوم مفكروه **بصوغ افكاره الاجتماعية التي تعكس صورة النشاط الاجتماعي والعلاقات الانتاجية في ظرفها الراهن كما تبدو مادة وحركة ، وحينئذ تشكل الانساق الفكرية ومنظوماتها صوغا نظريا لرؤية ايديولوجية طبقية محددة منطلقة من المصالح الطبقية لجماهير الكادحين وهادفه الى**

حمايتها وتحويلها الى واقع ملموس وهذا لن يتسنى تحقيقه ما لم تمتلك الاحزاب الثورية تلك الفلسفة المشار اليها وتسعى منهجيا لاكتشاف القوانين الموضوعية للعمليات الاجتماعية وللظواهر التي تعكسها وتحليلها تحليلا علميا دقيقا واعتبار ذلك مهمة ثورية اولية من اجل التصدي للمشكلات الكثيرة التي تعانيها الجماهير وهي المشكلات الناجمة اصلا عن مشكلات التبعية المتبادلة للعلاقات الاجتماعية الخاضعة على نحو دينامي للتقدم والتطور الدائمين وقد قدمت الاشتراكية العلمية امكانات كبرى على طريق ايجاد الحلول المناسبة لهذه المشكلات من اجل بناء مجتمع تغيب عنه علاقات الاستغلال الطبقية .

ان تحقق الاطروحة السابقة لن يكون ممكنا ايضا بالنسبة للاحزاب الثورية مالم تتحل هذه الاحزاب بالشكل الاعلى للوعي اي بالوعي الاجتماعي وفهم العلاقة التي تربطه بالوجود الاجتماعي ورسم حل صحيح لاشكاليتها الخاصة والمعقدة وعندئذ يمكن المضي قدما نحو ايجاد سبيل للتحويل الثوري في المجتمع لصالح الجماهير الكادحة ضد جلاديها الطبقيين الاستغلاليين وهذه القضية تحتل الآن اهمية قصوى في التفكير الاجتماعي لاعلى صعيد الاحزاب الثورية فحسب بل حتى على صعيد الانظمة الاجتماعية الراسمالية وممثليها من الاحزاب البرجوازية ايضا بسبب مايشهده هذا العالم من تطورات علمية ثورية في ميداني الانتاج والتكنولوجية وما خلقه ذلك من اضطرابات وفوضى كبيرين في العلاقات الاجتماعية في البلدان الراسمالية والبلدان الـ « ثالثية » ، هذه الاهمية التي تتجلى بالبحث عن مسوغات ايديولوجية قادرة على استدامة النظام الاجتماعي البرجوازي في العالم وتضليل الجماهير وحرف حركة نضالها ووضعه في المسار المناقض لصالحها وتحقيق نهب اكبر لجهدها ولقوتها اليومي .

ان الاحزاب الثورية معنية بهذه التطورات لفهم ما يجري من حولها وتصليب وحدتها الفكرية والتنظيمية وتعميق وعيها الاجتماعي

من اجل لعب دورها التاريخي المنوط بها حيث يجب ان توضح للجماهير الحقائق الاجتماعية التي تساعدها في كفاحها والشعور بذاتها من اجل الانتصار لهذه الذات وذلك يمكن ان يتم عبر كشف وتحليل الافكار والاضاليل المثالية الرجعية والميتافيزيقية والميكانيكية ودحضها واسقاط الاوهام التي تحملها لتسويغ حكم الطبقة البرجوازية واستمرار استغلالها وفي المقابل لا بد من تقديم البديل النظري الاجتماعي في اطار علاقة الخاص بالعام فالفكر الاشتراكي الثوري وضع بين يدي الاحزاب الثورية معينا لا ينضب من افكار اجتماعية تقدمية وتفسيرات شمولية علمية للعالم المادي وما ينشا عليه من علاقات واشكال وظواهر في الاجتماع والسياسة والثقافة والحقوق والتشريعات والفنون والاخلاق الخ .. الخ .. وهذه الاحزاب تستطيع ان تفيد من مواقعها الطبقية الكادحة وفي نطاق الظروف الموضوعية والذاتية التي تحيط بها من اجل ان تحرك النضال الجماهيري وأن تحدد افقه وان تهيا المناخات الضرورية لانبثاق اللحظة التاريخية المنتظرة وهي انتصار هذه الجماهير وتحررها من مستعبديها على طريق تقدمها الاجتماعي وفي هذه الحال تكون جماهير الكادحين قد وعت ذاتها وعملت لاجل هذه الذات وفقا لمسار التطور الصاعد في مجتمعها والقوانين الداخلية التي تحكمه وتكون الاحزاب الثورية بما حازت عليه من وعي اجتماعي قد سهلت مهمتها التاريخية هذه وضمنت عملية بقائها للاستمرار في اداء هذه المهمة ، وهنا يمكننا ابداء الملاحظة التالية القائلة ان امتلاك الوعي الاجتماعي من قبل هذه الاحزاب لا يشكل الشرط الوحيد لنجاحها في حل المهمات العديدة والصعبة التي تعترضها بل يبقى شرطا ناقصا اذا لم تتحقق الى جانبه شروط اخرى لا مجال لذكرها هنا في هذه الدراسة المختصة بالبحث .

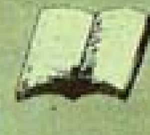
رابعا : حزب البعث العربي الاشتراكي واشكالية الوعي الاجتماعي :

حزب البعث العربي الاشتراكي هو احد الاحزاب الثورية

القليلة في العالم التي نجحت في قيادة النضال الجماهيري وفي تحقيق انتصار الكادحين وتسلم زمام قيادة الدولة والمجتمع وهذه الحقيقة التاريخية ما كانت لتكون واقعا ملموسا لولا أن هذا الحزب الاشتراكي العلمي **قد حاز شروطا افتقدت اليها احزاب وتنظيمات اخرى كانت او ماتزال موجودة في القطر العربي السوري او في بقية اقطار الوطن** العربي الكبير . فلقد بدأ التفكير الاجتماعي لهذا الحزب مع بدايات النشوء الاولى وقد تطورت هذه البدايات النظرية الاجتماعية مع تغير وتطور العلاقات الانتاجية - الاجتماعية المتباطئة في الوطن العربي الكبير على نحو عام وفي سورية على نحو خاص وقد شكلت **« بعض المنطلقات النظرية » للحزب التي اقرها مؤتمره القومي السادس في تشرين الاول عام ١٩٦٣ المحطة الاولى لرسم هذه الملامح الاجتماعية لتفكير الحزب النظري وتم ترك الباب مفتوحا امام اغناء هذه الملامح وتعميقها بما يخدم مواقع الحزب الطبقية والنضالية الثورية التقدمية** وقد عكست هذه المنطلقات النظرية في جانب مهم منها صورة الوعي الاجتماعي كما هو في افكار الحزب الاجتماعية التقدمية ولكن الملاحظ ايضا **ان هذه الافكار بقيت من دون تطور يذكر على الرغم من التبدل الكبير للظروف المادية - الاجتماعية الذي يحدث مؤخرا (منذ السبعينات من هذا القرن) ان على صعيد الوطن العربي عموما وان على صعيد القطر العربي السوري** خصوصا وكذلك لما يحدث اليوم في عالمنا من تبدلات وتطورات هائلة وفي غير مجال وميدان وهذه المسالة جهدت المؤتمرات الحزبية المتتالية لحلها وسد بعض الثغرات الموجودة هنا والقائمة هناك **ومع ذلك بقي التفكير الاجتماعي للحزب بحاجة الى مراجعة وتقويم والقيام بصوغ نظري شمولي متكامل مستمد من جملة هذه المتغيرات وما يمكن ان يتلوها ايضا اليوم او غدا من متغيرات واسعة ومكثفة وتجنب الوقوع في فراغ فكري نظري او ترهل ايديولوجي عقائدي وايضا من اجل الابتعاد عن التفكير الميكانيكي او الجامد والحفاظ على استمرارية دور الحزب الطليعي في تعبيره عن الظرف المادي -**

الاجتماعي الذي يحيا ضمنه ومحافظة منه على وحدة الحزب الفكرية والتنظيمية واغناء تفكيره الاجتماعي التقدمي بما يساعده في التعبير الدائم عن الضرورة التاريخية التي يمثلها في قيادته للدولة والمجتمع وتلبية حاجات اعضائه وجماهيره الفكرية والمادية ولقد جاء في « بعض المنطلقات النظرية » للحزب ان : « **الميزة الاساسية لهذه الطليعة هي الوعي العقائدي والمعرفة الدقيقة لقوانين تحويل المجتمعات وقواعد سير التاريخ . وهذه المعرفة المنفتحة الخاضعة للتطور , هي التي تستطيع تقليل احتمالات الخطا وتوجيه النضال والتجارب الحية على طريق التغير الثوري ، خلال معاناتها المباشرة للواقع وتحليلها له .** » (١) وهذه الاشارة النظرية البعثية تؤكد ما سبق وقد ذهبنا اليه من ان حزبنا معني كغيره من الاحزاب الثورية بايجاد حلول صحيحة لاشكالية العلاقة بين الوعي والوجود الاجتماعيين من اجل مواصلة الكفاح وبلوغ مجتمع التقدم والاشتراكية الذي نطمح اليه ويحصن جماهيرنا ورفاقنا ضد الوان الخطا او النكوص **فهل تكون هذه القضية مهمة مطروحة امام مؤتمرات الحزب القادمة ؟ . .**

(١) بعض المنطلقات النظرية لحزب البعث العربي الاشتراكي التي اقرها المؤتمر القومي السادس في تشرين الاول عام ١٩٦٣ : ط ٦ - ص ٧٩ .



الديمقراطية والتقدم في الوطن العربي

الرفيقة د. نجوى قصاب حسن

اولا : مضامين الديمقراطية والتقدم :

ان مفهوم الديمقراطية ليس صيغة مثالية معزولة عن واقع الظروف الموضوعية وطبيعة المرحلة التاريخية ، انه انعكاس وتعبير عن الفلسفة السياسية السائدة، وتجسيد لمواقف الانظمة من فئات الشعب والقوى الاجتماعية المتعددة ، ولقد اتخذ مفهوم الديمقراطية عبر تطور المجتمعات وتعدد الانظمة السياسية صورا وتطبيقات متباينة وادعت اغلب المذاهب والايديولوجيات انها الاحق بسمة الديمقراطية كما نسبت بعض الحكومات والدول ، الديمقراطية ، الى اسمها وهي قد تكون ابعد ما يمكن منها في حقيقتها وممارساتها . (١) .

(١) ــ ازمة الديمقراطية في الوطن العربي ــ مركز دراسات الوحدة العربية بحوث ومناقشات الندوة الفكرية . بيروت ١٩٨٤ صفحة ٣٦ .

بيد ان الصور المتعددة لما يدعى بالانظمة الديمقراطية يمكن ان تندرج في اطار مفهومين اساسيين هما ، المفهوم البرجوازي للديمقراطية ، ومفهوم الديمقراطية في نطاق التوجه الاشتراكي .

وقد تعرض المفهوم البرجوازي للديمقراطية للنقد في مضمونه واهدافه لتجسيده لمصالح الطبقة الحاكمة والمتسلطة والمستغلة ، وافرزت الظروف التاريخية والوقائع ماهية الحرية التي تدعو اليها الديمقراطية الليبرالية ، وانحصار مفاهيم الحق والعدالة والمساواة في نطاق ضيق ومحدود يسمح بتقديم الخدمات والمساعدات والتنازلات بما يخدم طبيعة النظام ويحقق استمراريته تحت شعارات براقة ظاهرها انساني يهدف الى حماية مصالح الافراد وحقوقهم ، ومضمونها طبقي اقتصادي يوظف المفاهيم والشعارات لخدمة بقاء تلك الانظمة وامتداد نفوذها

ان الديمقراطية البرجوازية من وجهة نظر المفكرين الاشتراكيين هي (ديمقراطية ضيقة ، مبتورة ، مزورة ، منافقة ، فردوس للاغنياء وفخ وخديعة للمستثمرين للفقراء) . (١) .

وبالتمايز عن هذا المفهوم تأخذ الديمقراطية في اطار التوجه الاشتراكي بعدا آخر يسمح لفئات الشعب بالمشاركة الفعالة في قيادة الدولة والمجتمع ويعدل من مفهوم السلطة وطبيعة العلاقات ، ويحدد الاطر الرسمية والحقوقية التي تمكن الجماهير الشعبية من ممارسة ادوارها على نحو واع ومسؤول وبهذا تكون الديمقراطية الشعبية هي الاداة التي (تعزز مكاسب الجماهير وتوسعها وتصونها وتوفر المناخ لنمو التحرك الجماهيري ، وتعمق جذوره وعيا وتنظيما .) (٢) .

من هنا فان مفهوم الديمقراطية المعتمد في هذا البحث كسبيل اساسي لتحقيق التقدم الاجتماعي هو الذي يتحقق في نطاق التوجه الاشتراكي التقدمي الساعي الى تسليم الجماهير الواسعة مهمة قيادة نفسها بنفسها على طريق التنظيمات السياسية والمجالس الشعبية والمنظمات الرسمية والشعبية بقيادة الطلائع الثورية الواعية .

(١) ــ لينين : حول الديمقراطية الاشتراكية السوفييتية . دار التقدم ــ موسكو صفحة ٦١ .

(٢) ــ حزب البعث العربي الاشتراكي : بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣ . صفحة ٥٠ .

كما ان مفهوم التقدم المعتمد يعني بالتحديد ، حركة التاريخ والمجتمع الصاعدة الى الامام والى المستويات الارقى والافضل والتي تشمل جميع القطاعات والمجالات الاقتصادية والاجتماعية وفي اطار التخطيط الاشتراكي الموجه الذي يسعى الى احداث تغيرات ثورية جذرية تخدم مصالح الجماهير الكادحة وتتطابق مع الاهداف المنشودة في بناء المجتمع الذي يحقق المساواة والعدالة .

وهذا التوضيح للمفاهيم يعود الى عدة اعتبارات رئيسية اهمها التمييز ما بين مفهوم التقدم كخطوة ثورية شاملة ، وبين مفاهيم التقدم التي تدعيها بعض الانظمة ، والتي لا تتجاوز حدود الاصلاحات الجزئية والهامشية ، او تقديم المكتسبات كنوع من التنازلات التي تقدمها الفئات المتنفذة والمستغلة وتدلل عليها كمؤشرات للتقدم بينما هي في الحقيقة لا تعدو كونها اصلاحات والاصلاح كمفهوم (يراقب ، ويرمم ، ويعدل في النظام دون المساس بجذوره او مقوماته او اهدافه) . (1) .

وعلى هذا فان منطلق البحث ومحوره يتحدد من خلال اعتماد المفهوم التقدمي للديمقراطية ، ومفهوم التقدم بشكله الثوري الشامل والمحقق لاهداف الامة ومصالح الجماهير الواسعة ، ومن خلال اعتماد المنهج العلمي الذي يبرز الوثيقة الجدلية التي تربط ما بين المفهومين مع الاخذ بعين الاعتبار طبيعة الظروف الموضوعية ، التاريخية والاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها اقطار الوطن العربي

ثانيا : صيغ العلاقة بين الدولة والمجتمع في الوطن العربي :

ان الظروف التاريخية التي مر بها الوطن العربي ، وتعدد اشكال الاستعمار والسيطرة والعدوان ، وما ارتبط به من صنوف القهر والظلم والتخلف والتبعية قد افرز اوضاعا وتشكيلات سياسية اقتصادية واجتماعية متعددة تباينت بتباين الظروف والمراحل التاريخية ، وولدت انظمة سياسية عديدة بعضها اعتمد التوجه الاشتراكي كطريق وخيار لتحقيق التحرر والتقدم ، وبعضها الاخر ارتبطت مصالح حكامه المتنفذين فيه بالانظمة البرجوازية والسياسية الامبريالية ، وبعضها الاخر لا يزال يعاني من العدوان والغزو الاستعماري الاستيطاني ، وبذلك فقد اتخذت الديمقراطية التي تمثل البعد السياسي والاجتماعي للحرية صيغا وصورا

(1) د . احمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية : مكتبة لبنان ـ بيروت ـ صفحة ٢١٩ .

متعددة تبعا للتوجهات والخيارات السياسية . والقياس الدقيق للمؤشرات الديمقراطية ، وتحديد الصور والصيغ التي تبرز العلاقة بين الفئات الحاكمة وبين الجماهير الشعبية هو امر يحتاج الى التفصيل في كثير من القضايا والمسائل

فالديمقراطية ، كمفهوم عام ، تندرج تحته اعداد من المؤشرات التي تدل عليه او ترتبط به ، والاحاطة بها تتطلب بالضرورة اعتماد نتائج دراسات ميدانية علمية دقيقة لكل قطر من الاقطار عبر المراحل التاريخية المتتالية ، كما يتطلب المطابقة ما بين الصيغ النظرية المعلن عنها وبين التطبيقات والممارسات العملية في الواقع.

وهذا امر غير متوافر بشكله العلمي الدقيق ، ولهذا فقد اعتمدت في عرض صور واقع الديمقراطية في الوطن العربي على بعض المعطيات والمؤشرات ذوات الدلالة الواضحة ، والتي تعتبر الاطر الاساسية التي توضح طبيعة العلاقة بين فئات الشعب والقيادات السياسية وهذه المعطيات هي التنظيمات السياسية والتنظيمات الشعبية اذ انه من المعلوم ان الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية في اي مجتمع تشكل في طبيعتها ونظام عملها وسيلة السلطة في : اما تنظيم الجماهير او عدم تنظيمها واما تعبئة الجماهير او عدم تعبئتها ، واما قرب الجماهير من مواقع اتخاذ القرار السياسي والاجتماعي ام الابقاء بها بعيداً عن هذه الهياكل . (1) .

وقد اثبتت وقائع الاحداث والتاريخ ان الاقطار التي ارتبطت بالانظمة البرجوازية لا تسمح للجماهير وخاصة الطبقات الكادحة بالانتظام كقوة سياسية مستقلة ، فهي تحول دون وجود تلك الاطر المؤسسية وتحظر وجود الاحزاب فتلغي الامكانية والشرط الاساسي والموضوعي للممارسة الديمقراطية ، وهي بحكم عدم بلورتها ، كبرجوازية صناعية وبحكم ضعفها فهي غالبا ما تلجأ للقهر وان حاولت تغطية ذلك بشعارات او هيئات تخدم مصالحها .

اما الدول العربية التي انتهجت النهج الاشتراكي فانها تؤمن بدعم القوى الشعبية الثورية وتعبئة جهودها في خدمة المجتمع في اطار تنظيمات تجمع بين الوظائف التشريعية والتنفيذية . وتصبح اداة قوية فعالة تساهم في التقدم الاجتماعي وفي صنع القرار وفي تنفيذه .

(1) ـ قضايا فكرية سلسلة كتب الديمقراطية والسلطة ١٩٨٥ صفحة ٥٩ ـ دار الثقافة الوطنية القاهرة .

ومن المؤكد انه حيث توجد السلطة ذات النهج الاشتراكي توجد المنظمات الديمقراطية للعمال والفلاحين والنساء والشباب لتقوم بالدور التعبوي لجموع الشعب ، تنظم صفوفهم وتدربهم على العمل الجماعي ، وتحافظ على مصالحهم كمجموعات انسانية : انتاجية وتعبرّ عن رأيهم بالطرق الديمقراطية ، وتصبح هذه المنظمات جزءا من المكونات الاساسية للديمقراطية الشعبية .

وانني اذ اكتفيت بابراز واقع التنظيمات السياسية والتنظيمات الشعبية باعتبارهما من اهم مؤشرات الديمقراطية فانني ادرك ان استكمال الصورة الحقيقية لابعاد الديمقراطية لا يتم الا باعتماد مؤشرات مهمة اخرى مثل تحقق المساواة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، وحرية الراي والنقد والرقابة وطبيعة العلاقة بين السلطات التشريعية والتنفيذية ودستورية القوانين وحقوق الترشيح والانتخاب وتوفر الضمانات ، ونفاذ القوانين وحق المعارضة السياسية وغير ذلك من المؤشرات والاسس الرئيسية والثانوية والتي استخدمها بعض الباحثين في قياس تحديد السلوك الديمقراطي او الممارسات الديمقراطية في الدول . (1) .

الا ان ندرة الدراسات العلمية والميدانية التي تناولت مسالة الديمقراطية في اقطار الوطن العربي ، وصعوبة الاحاطة بتلك المسائل في هذا البحث الموجز قد يبرر ويفسر الاكتفاء بعرض وتحليل بعض الاسس والمؤشرات دون غيرها وربطها بطبيعة الفلسفات والتوجهات السياسية السائدة .

ثالثا : الديمقراطية في الاقطار العربية ذات التوجه الاشتراكي:

لقد ربطت بعض الانظمة السياسية والدستورية في الوطن العربي مفهوم الديمقراطية بالخيار الاشتراكي ، واتخذت في تطبيقها العملي صيغا واجراءات متعددة بعضها تشريعي حقوقي وبعضها الاخر تنفيذي يجري استكماله تبعا للظروف المرحلية ومدى تطابق الشروط الموضوعية والذاتية الكفيلة بانجاز الثورة الديمقراطية الشاملة .

ففي القطر العربي السوري نصت المادة الثالثة عشرة من دستور الجمهورية على ان (الاقتصاد في الدولة اقتصاد اشتراكي مخطط يهدف الى القضاء على جميع

(1) ـ روبرت جالماك : السياسة والمساواة الاجتماعية ، تحليل ومقارنة ترجمة رفيق جبور ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ١٩٨٥ صفحة ٩٠ ـ ٩١ .

اشكال الاستغلال) (1) واوضح حزب البعث العربي الاشتراكي مفهومه للديمقراطية في مؤتمره السادس فيما يلي : (بما ان النظام البرلماني هو طريقة البرجوازية الغربية في الحكم ، وجزء من البناء الفوقي لتلك المجتمعات . لذا جاء تطبيق البرلمانية في بعض الاقطار العربية مجرد نقل لواجهة غربية مقطوعة من جذورها السياسية والاقتصادية ولم تتولد من معطيات الحركة القومية الاشتراكية وحاجاتها المباشرة) . (2)

وقدم حزب البعث العربي الاشتراكي بدلا من المفهوم التقليدي للديمقراطية ، مفهوم الديمقراطية الشعبية ، واوضح كيفية ممارسة الجماهير الشعبية لحقوقها الديمقراطية وذلك (بتعبئتها في اطارات تنظيمية تمنحها القوة وتتيح توعيتها سياسيا واجتماعيا وهذه الاطارات تتمثل في نقابات العمال والفلاحين والاتحادات الطلابية والمنظمات الشعبية ومنظمات المستخدمين والاتحادات النسائية) . (1)

وحيث لا تستنفد تلك المجالس التمثيلية اشكال التنظيم الشعبي وابعاده ، ولا تلغي دور تلك الاطارات بل تكملها الا أنه : (من دون تلك الاطارات التنظيمية والمجالس الشعبية تتحول الجماهير الى سديم بلا قوة ولا وعي وبلا انضباط واع ومسؤول) . (2)

وقد تمثل التطبيق العملي لصيغة الديمقراطية الشعبية في القطر العربي السوري في تولي مجلس الشعب السلطة التشريعية ، وتولي الادارة المحلية مهامها في تمكين فئات الشعب من ممارسة دورها في الادارة والرقابة والانتاج ، فقد دعت القيادة السياسية الى اقامة مجالس شعبية على اساس ديمقراطي وعلى طريق الانتخاب الحر المباشر على جميع المستويات في القرية والمدينة والمنطقة والمحافظة لتحقيق مشاركة الجماهير الطوعية في بناء حاضرها ومستقبلها وانتزاع روح الاتكال منها ، وقد صدر قانون الادارة المحلية عام ١٩٧١ بهدف تركيز المسؤولية في ايدي

(1) : الفقرة الاولى من المادة الثالثة عشرة من دستور الجمهورية العربية السورية عام ١٩٧٠

(2) : بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣ ـ صفحة ٥٢ ـ ٥٤ .

(1) و (2) حزب البعث العربي الاشتراكي منهاج التثقيف الحزبي مكتب الاعداد الحزبي القطري .
الجزء الاول دراسات فكرية صفحة ٩٤

طبقات الشعب المنتجة ومشاركتها شؤون وحداتها المحلية الادارية في نطاق التخطيط العام . والقوانين والانظمة التي تقرها الدولة وسلطاتها المركزية . (١)

وكذلك فقد تم ترسيخ الاطر المؤسسية التي يتم فيها تمثيل الشعب بفئاته المتعددة وذلك بتاسيس التنظيمات الرسمية والاتحادات والنقابات والتي اعتبرت الحلقة الاساسية التي تربط بين الجماهير والقيادة السياسية ، والادارة التي تمكن فئات الشعب من ممارسة حقوقها ومشاركتها في قيادة المجتمع ، والقناة الاساسية التي تمر عبرها التحولات الجذرية نحو بناء مجتمع التقدم والاشتراكية فقد اعترفت القيادة السياسية في القطر العربي السوري بالنقابات شريكا كاملا في السلطة ، واطارا يتم فيه تنظيم الطليعة الثورية ويؤكد ذلك ماجاء في دستور حزب البعث العربي الاشتراكي والذي مفاده (تاليف نقابات حرة للعمال والفلاحين وتشجيعها لتصبح اداة صالحة للدفاع عن حقوقهم ورفع مستواهم وتعهد كفاءاتهم وزيادة الفرص الممنوحة لهم وخلق روح التضامن بينهم وتمثيلهم في محاكم العمل العليـــا). (٢) .

كما اوضحت بنود قانون التنظيم النقابي الصادر بالمرسوم التشريعي رقم ٨٤ / عام ١٩٦٨ اهداف ومهام التنظيمات النقابية . (٣) واكدت الدور النضالي لفئات الكادحين الثوريين في اطر المنظمات والاتحادات وربطت مابين النضال السياسي والنضال النقابي بقيادة الطلائع الثورية .

واستكمالا للصيغة الديمقراطية الشعبية وتحقيقا لهدف توحيد القوى التقدمية والاستفادة من الطليعة الثورية في بناء المجتمع الاشتراكي الديمقراطي فقد صدر ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية ونظامها الاساسي وتالفت الجبهة من القوى والاحزاب السياسية التالية :

١ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ، وهو الحزب القائد في المجتمع والدولة يقود جبهة وطنية تقدمية تعمل على توطيد طاقات الجماهير الشعبية ووضعها في خدمة اهداف الامة .

---

(١) : د. امين اسبر : تطور النظم السياسية والدستورية في سورية ١٩٤٦ ـ ١٩٧٣ . دار النهار للنشر صفحة ١٤٧ .

(٢) : دستور حزب البعث العربي الاشتراكي المادة ٤٠ البند الخامس .

(٣) قائم قائم : دور التنظيم النقابي في تشريعات العمل الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ـ الامانة العامة دمشق صفحة)

٢ ـ الحزب الشيوعي السوري ـ ٣ ـ حزب الاتحاد الاشتراكي ـ ٤ ـ حزب الوحدويين الاشتراكيين ـ ٥ ـ حركة الاشتراكيين العرب (١) .

ويمكن ان تضم الجبهة اطرافا او عناصر اخرى حسب النظام الاساسي للجبهة (٢) ونصت احكام الدستور الدائم لعام ١٩٧٣ على ان الجبهة الوطنية هي احدى المؤسسات الدستورية السياسية اذ نصت على مايلي (وفي ظل الحركة التصحيحية تحققت خطوة هامة على طريق تعزيز الوحدة الوطنية لجماهير شعبنا فقامت بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي جبهة وطنية تقدمية متطورة الصيغ بما يلبي حاجة شعبنا ومصالحه . ويتجه نحو توحيد ادارة الثورة العربية في تنظيم سياسي موحد) . (٣) .

وبما ان ضمان مساواة المواطنين وحريتهم في ابداء الراي والنقد تعتبر من المؤشرات الرئيسية للممارسات الديمقراطية فقد كفل دستور حزب البعث العربي الاشتراكي في المادة الاولى من المبدأ الثاني (حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة لا يمكن ان تنتقصها .) (٤) .

كما اكد مساواة المواطنين جميعا بالقيمة الانسانية وحرم استغلال جهود الاخرين .

ولاشك ان الجهود المبذولة لرفع مستوى التعليم والوعي لدى الجماهير ، والتاكيد ضرورة تنامي حس المسؤولية والالتزام بقضايا الامة سوف يؤدي الى استكمال تحقق الديمقراطية ويعمق دورها في دفع عجلة التقدم الاجتماعي في المستقبل اما في الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية فقد ربطت مفهوم الديمقراطية بالتوجه الاشتراكي ويتبين من ذلك بشكله الرسمي في ما ورد في الدستور الجزائري الذي ينص على ان (الاشتراكية هي اختيار الشعب الذي لا رجعة فيه ، وهي السبيل الوحيد الكفيل باستكمال الاستقلال الوطني) . كما ورد ايضا .

---

(١) : حزب البعث العربي الاشتراكي ـ مكتب الاعداد الحزبي القطري ـ منهاج التثقيف الحزبي . الجزء الاول ـ دراسات فكرية صفحة ٨٤ .

(٢) المادة الثالثة من النظام الاساسي للجبهة الوطنية التقدمية .

(٣) الفقرة الثامنة من مقدمة الدستور السوري .

(٤) دستور حزب البعث العربي الاشتراكي المادة الاولى من المبدأ الثاني .

ان (الدولة ديمقراطية في اهدافها وتسييرها ، والمساهمة النشيطة للشعب في التشييد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وفي تسيير الادارة ومراقبة الدولة .) (١) .

وقد تبنت الجزائر صيغة الحزب الواحد واعتبرت جبهة التحرير الوطني الجزائري هي الحزب الواحد في البلاد وهي الطليعة المؤلفة من المواطنين الاكثر وعيا الذين تحددهم المثل العليا الوطنية والاشتراكية ، وعليه فان (مناضلو الحزب المختارون على الخصوص من بين العمال والفلاحين والشباب يصبون الى هدف واحد والى مواصلة عمل غايته القصوى انتصار الاشتراكية .) (٢) .

واستكمالا للصيغة العملية للديمقراطية فقد تم في جمهورية الجزائر تمثيل الشعب في اطار المنظمات الرسمية والاتحادات والنقابات العمالية وتم انشاء الاتحاد الوطني للفلاحين الجزائريين ليكون منظمة جماهيرية تضم الفلاحين الجزائريين مهمته تنمية مستوى الوعي السياسي والعقائدي لجماهير الفلاحين المحرومين حتى يتمكنوا من تجسيد مطامحهم ومسؤولياتهم وكذلك توفير الاطار التاسيسي للفلاحين من اجل تحقيق المضمون السياسي والاجتماعي للثورة الزراعية وتجنيد الفلاحين في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد ، واقامة مجتمع اشتراكي .) (٣) .

كما خطت الجزائر خطوة رائدة في مجال تحقيق التسيير الذاتي للمؤسسات حيث اعطت العامل الذي اصبح منتجا ومسيرا الحق الاساسي في العمل والاستقرار وفي حماية عمله ، وصدر الميثاق الذي يحدد التنظيم الاشتراكي للمؤسسات عام ١٩٧٢ والذي اوضح حقوق وواجبات العمال وحدد المجالس واللجان والهياكل المؤسسية التي سوف تسير العمل .(٤)

اما في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فقد اكد الدستور الدور القيادي للطبقة العاملة ، واعتبر ان الاشتراكية هي اساس النظام السياسي في البلاد واساس تطورها الاقتصادي . (٥)

---

(١) المادة ٩٥ من دستور الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية .

(٢) جبهة التحرير الوطني : القانون الاساسي للاتحاد الوطني للفلاحين الجزائريين .

(٣) للعمال الحق في تكوين منظماتهم والانضمام اليها من طواعية .

(٤) النشرة التشريعية ، العدد الثاني ، ميثاق قانون التسيير الذاتي صفحة ٣١ .

(٥) ستوليباروف كليكوفسكي ، ترجمة حسان اسحق صفحة ٩٦ البلدان العربية الاقتصاد والعلاقات الاقتصادية (دار التقدم موسكو) .

ويقود الحزب الاشتراكي اليمني نضال الشعب ومنظماته الجماهيرية تحقيقا لاستراتيجية الثورة اليمنية واستكمال مهام الثورة (١) كما تمثلت الصيغة العملية للممارسة الديمقراطية في توفير الظروف الموضوعية والاداة الملائمة لتنظيم الشعب في تنظيمات ونقابات واتحادات رسمية تدافع عن مصالح الجماهير فقد ورد في قانون العمل الاساسي فيما يتعلق بالنقابات وحقوق العمال في ممارسة نشاطهم وادوارهم ما يلي :

١ ـ للعمال الحق في تكوين منظماتهم والانضمام اليها عن طواعية .

٢ ـ اتحاد النقابات بوصفه منظمة جماهيرية تمثل مصالح الشعب العامل ويمارس نشاطه بحرية وبدون اية عوائق طبقا لانظمته وقراراته وعلى المنشات ان تقدم المساعدات الممكنة للنقابات لتمكينها من ممارسة النشاط الذي تقوم به) (٢) .

وقد حددت كل من المادة ٩٤ و ٩٥ من قانون العمل الاساسي مهام النقابات في حماية مصالح العمال ودورها في عملية التفتيش والرقابة على تنفيذ تشريعات العمل ، وفي تنظيم التامينات الاجتماعية وتقديم الخدمات التعليمية والتثقيفية والتاهيلية ، واكدت ضرورة مشاركة النقابات في وضع وتنفيذ خطط التنمية واقرار قضايا تطوير الانتاج وفي الاعداد لتهيئة الظرف لاشتراك العمال في ادارة الانتاج .

اما بالنسبة للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية فقد اكد المؤتمر الشعبي عام ١٩٧٧ على ان السلطة في البلاد هي بيد الشعب الذي سيحكم البلاد عن طريق الديمقراطية المباشرة اي عبر المؤتمر الشعبي واللجان الشعبية وكذلك عبر النقابات وغيرها من المنظمات الشعبية الجماهيرية (٣) .

---

(١) د. امين اسبير ، الانظمة الاساسية في البلدان العربية الطبعة الاولى ١٩٨٥ ص ٥٧ .

(٢) قانون العمل الاساسي رقم ١٤ لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ١٩٧٨ صفحة ٢٧ .

(٣) ستوكباروف وكيلكوفسكي البلدان العربية الاقتصاد والعلاقات الاقتصادية الخارجية مصدر سابق صفحة ١٣٢ .

رابعا : اشكال الديمقراطية الليبرالية في بعض اقطار الوطن العربي

لقد تعددت اشكال العلاقة بين السلطة وفئات المجتمع في الاقطار العربية التي تبنت المفهوم الليبرالي للديمقراطية والتي ارتبطت سياستها بالانظمة الراسمالية، فمنها من اخذ بمبدأ تعدد الاحزاب وسمح للنقابات بدور محدود ومنها من تفرد في الحكم وحظر وجود الاحزاب ووجود التنظيمات الرسمية ومنها من انحرف عن الخط العربي السياسي التحرري اصلا ، ورغم تعدد اشكال وصيغ تلك العلاقات فانها من حيث المبدأ واحدة في توجهها نحو استبعاد الجماهير الكادحة عن مواقع القرار وعن المشاركة في القضايا المصيرية والحيوية ، فالحريات الشكلية الممنوحة في بعض الاقطار وسياسة القمع وتجاهل القوى الشعبية ، وجهان لسياسة واحدة من حيث المبدأ والهدف فعلى الرغم من أن الجمهورية التونسية تعترف بوجود عدد من الاحزاب والتنظيمات السياسية ، وتسمح بتأسيس نقابات واتحادات مهنية الا ان القانون الاساسي الذي صدر عن الاتحاد العام التونسي للشغل يؤكد على أن شرط العضوية للعمل النقابي هو التفرغ والانخراط الخالص بالاتحاد العام التونسي للشغل وعدم تحمل اية مسؤولية في تنظيم سياسي(١) وذلك لتفصل بين النضال النقابي والنضال السياسي ، ولتبعد الجماهير الكادحة المنظمة عن دورها التعبوي النضالي وتحصرها في حل مشكلات العمل المحدودة .

وفي القطر السوداني يوجد عدد من الاحزاب السياسية ، ويسمح للتنظيمات والاتحادات بالقيام بدور محدود يتحصر في حل المشكلات ورفع الكفاية الانتاجية والدفاع عن المصالح في حدود القوانين النقابية ومقتضيات الاقتصاد الوطني (٢) وكذلك فقد اخذ القطر اللبناني بمبدأ تعدد الاحزاب واعترف بتنظيمات سياسية متعددة كما اعترف للنقابات بدور محدود جدا لا يتجاوز المسائل والقضايا ذوات الصلة بالعمل والعمال كما ورد في المادة الرابعة من قانون العمل في الجمهورية اللبنانية .

اما النظام المغربي فهو يعد احد اعمدة النظام الرجعي الذي يحصر السلطات بيد الملك الذي يشرف على السياسة العامة للدولة وعلى السياسة الخارجية ورغم وجود احزاب متعددة الاتجاهات في المغرب العربي ، فهي احزاب شكلية

(١) ـ الاتحاد العام التونسي للشغل : القانون الاساسي المصادق عليه من طرف المجلس الوطني ـ تونس ١٩٨٢ صفحة ١٦ .

(٢) ـ غانم غانم : دور التنظيمات النقابية في التشريعات العمل ـ الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب صفحة ٥ .

لتستمد شرعيتها ومرجعيتها الفكرية من الانماط الغربية السائدة في اوربا ولاترتبط بواقع الامة العربية ومطالبها الحيوية او اهدافها القومية ، وقد اسهمت الاحزاب والجمعيات والنقابات في تحديث البنى والمؤسسات الاجتماعية بشكل يستوعب ويستقبل المصالح الامبريالية المادية والروحية ويشكل مجتمعا يعاني من كل تشوهات الاستغلال والاستلاب والاغتراب ضمن سياسة متسلطة واستلابية (١) .

اما بالنسبة للاقطار العربية الاخرى مثل المملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية ودول الكويت وقطر والامارات العربية المتحدة والبحرين وسلطنة عمان والجمهورية العربية اليمنية ، فان الاحزاب والتنظيمات السياسية ، والتنظيمات النقابية والشعبية محظورة وممنوعة منعا باتا وذلك لاستبعاد الجماهير وفئات الشعب استبعادا كليا عن المشاركة في قيادة الدولة والمجتمع وفي ابداء الراي ، حيث تنحصر السلطات التشريعية والتنفيذية فعليا في يد الفئات الحاكمة وهياكلها المؤسسية التي تخدمها ، اما في جمهورية مصر العربية فان تفرد الحكام باتخاذ القرارات السياسية التي انحرفت عن الخط العربي التحرري الصاعد ، وابرامها للاتفاقات والمعاهدات الاستسلامية ، وتوجهها نحو تطبيع العلاقات مع العدو الصهيوني ، وتصدي الشعب العربي في مصر وثورته ضد النظام الحاكم ، يصور حقيقة انعدام الشرعية وانعدام وجود الديمقراطية باعتبار أن قادتها لا يمثلون باي حال ارادة الشعب ويقمعون حقوقه في التعبير عن رايه ومواقفه من قضاياه المصيرية ، والامر ذاته ينطبق على القطر العراقي حيث ينفرد الحاكم بتوجيه مقدرات شعبه في عكس مصلحة الشعب العراقي والشعب العربي وذلك بتشتيته للقوى العربية التي كان يجب ان تقف في خط المواجهة مع العدو الصهيوني ولابد ان تستلم الجماهير العربية في العراق قريبا زمام الامور وتستعيد دورها في المشاركة في قيادة الدولة والمجتمع .

وفي الارض المحتلة تمارس سلطات الكيان الصهيوني صنوف القهر الناجمة عن الاستيطان والاستعمار والغزو ، وتغفل حقوق الشعب الاساسية في الحرية وتقرير المصير ، وحقوقهم في العمل والكسب والتنظيم الشعبي الحر ، ..

على اية حال فان وجود الكيان الصهيوني هو وجود غير شرعي وغير معترف به اساسا من قبل الشعب العربي وبالتالي فان اي شكل من اشكال العلاقات

(١) ـ ماجد الخطيب : المغرب العربي ـ رؤية سياسية ـ السلسلة القومية ١٩٨٥ صفحة ٨ .

بين السلطات المحتلة والشعب العربي لا تمثل الا العدوان والظلم واغفال حقوق الانسان وان اية تنظيمات مسموحة ما هي الا خدع وادوات تمكن العدو من استمرارية بقائه وسيطرته .

تعقيب وتوضيح :

يبين هذا العرض لبعض مؤشرات الديمقراطية في اغلب الاقطار العربية حقيقة اكيده مفادها ان الدول والاقطار التي انتهجت النهج الاشتراكي هي التي نجحت في تاسيس الاطر المؤسسية وخلق الظروف الموضوعية التي يمكن في اطارها استكمال الثورة الديمقراطية وتحقيق ابعادها ، والارتقاء بدرجات ومستويات تطبيقها وممارستها مرحلة بعد اخرى تبعا للظروف الاقتصادية والاجتماعية ولطبيعة المرحلة التي تمر بها تلك الدول .

اما الاقطار العربية الاخرى ، الملكية ، والجمهورية منها ، والتي لم تاخذ بالنهج الاشتراكي فان اشكال الديمقراطية فيها ما هي الا (خدع ونقل لواجهات غربية مقطوعة من جذورها السياسية والاقتصادية ،) وانها مجرد بناء كرتوني هزيل ونسخة مزيفه من البرلمانية الغربية (١) .

كما تجدر الاشارة الى ان البنية التنظيمية للبرلمانات العربية التي تسير في طريق التوجه الاشتراكي يختلف عنها في البلدان العربية ذوات الانظمة التي تقلد النمط الغربي ، او في البلاد التي تحظر وجود الاحزاب ، ففي حالة البرلمانات في الدول التي تعتمد النمط الغربي او الليبرالي فان اغلبية الاعضاء فيها تكون من افراد واحزاب الطبقة البرجوازية الكبيرة وشبه الاقطاعية ، البرجوازية السياسي وان واقع تمثيل فئات الفلاحين في تلك البرلمانات لا يتجاوز عشرة بالمائة بينما هم يشكلون تقريبا ٧٠٪ من السكان (٢) وكذلك فان نسبة تمثيل العمال والمثقفين والحرفيين وصغار الكسبه هي نسبه ضئيله ، وبالتحاز من هذه البنية التنظيمية التي تعبر عن دور البرلمانات في خدمة الفئات المتنفذه وارتباطها ايديولوجيا ، بالسياسات الغربية ومصالح الفئة البرجوازية ، فان البنية التنظيمية لمجالس

(١) : بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس صفحة ٤٩

(٢) د . امين اسبر الانظمة السياسية في البلدان العربية مصدر سباق صفحة ٣٩

الشعب في الاقطار ذوات التوجه الاشتراكي تظهر الى اي مدى يتم تمثيل فئات الشعب والطبقات الكادحة والطليعة الثورية فيهافلقد اشترط الدستور في الجمهورية العربية السورية ان يكون نصف اعداد مجلس الشعب من العمال والفلاحين (١) كما جرت العادة منذ قيام الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا ان تتقدم الجبهة بقائمة مرشحيها للناخبين في الدائرة الانتخابية تضم كلا القطاعين ، قطاع العمال والفلاحين وقطاع باقي فئات الشعب .

وكذلك فقد اكد الدستور الجزائري على ان (تمثل المجالس الشعبية المنتجة بحكم محتواها البشري القوى الاجتماعية للثورة ، وتتكون الاغلبية ضمن المجالس الشعبية المنتخبه من العمال والفلاحين . (٢)

وقد كانت مصر العربية في فترة حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد اخذت بمبدا تمثيل العمال والفلاحين في مجلس الامة حيث اشترط القانون ١٥٨ لعام ١٩٦٣ ان يكون نصف اعضائه على الاقل من العمال والفلاحين .

من هنا يتبين ان الممارسة الحقيقية للديمقراطية تتجسد لا في اقامة البرلمانات والمجالس الشعبية والتنظيمات فحسب وانما في مدى تمثيل غالبية فئات الشعب وطلائعه الثورية الواعية في تلك الهيئات والتنظيمات ، وفي مدى القدرة على المشاركة الفعلية في السلطة وفي اتخاذ القرار وفي احداث التغييرات الجذرية لمصلحة الجماهير الواسعة وتحقيق اهداف الامة .

اذ ان الثورة الاجتماعية في هذا المعنى هي مدرسة تتعلم فيها الشعوب وتختبر سبلها (فهل يمكن ان يكون ثمة سبيل اخر لتعلم الشعب حكم نفسه بنفسه ، واجتناب الاخطاء سوى سبيل النشاط العملي) (٣) .

وبهذا فان ضمان فاعلية الممارسات الديمقراطية وجدواها في بناء المجتمع التقدم لايتم الا بتوفر الشروط الموضوعية والذاتية والتي تتمثل اولا في اعداد الصيغ والاطر الاقتصادية والتشريعية والاجتماعية التي تتوافق مع التوجه التقدمي ، ثانيا تواجد الهياكل المؤسسية والتنظيمات السياسية والاجتماعية التي يتم في اطارها تمثيل غالبية الجماهير بفئاتها المتعددة وطلائعها الثورية الرائدة ثالثا في توفر الشروط الذاتية والتي تتعلق بمستوى وعي الجماهير وادراكهم

١) دستور الجمهورية العربية السورية المادة ٥٣

٢) دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية المادة الثامنة .

(٣) لينين المؤلفات الكاملة : مجلد ٢١ صفحة ٤٤ .

لحقوقهم وواجباتهم ، ومدى تحليهم بالالتزام وحسن المسؤولية ، واتسامهم بالاخلاق الثورية ، والتحامهم باهداف الامة فاذا ما تطابقت وتوافرت تلك الشروط ، في ظل قيادة حكيمة تعبر عن مصالح الجماهير الكادحة وتمثل ارادة الشعب فان ابعاد التقدم لابد وان تتحقق وقد كان لينين قد اشار الى اهمية دور القادة والابطال والشخصيات البارزة في التاريخ الذين يدافعون عن مصالح الطبقات الكادحة بقوله (١) (ان قوة الطبقة وقدرتها الكفاحية ونجاح اعمالها تتعين الى درجة مهمة بالاشخاص الذين يقودون نضالها ويراسون حزبها .) كما اضاف . (انه لعظيم ذلك القائد الذي اذ يراقب اتجاهات الواقع الاجتماعي وافاق نضال طبقته يرفع مستوى هذه الطبقة ويقودها الى أمام) (٢) .

ان توافر الشروط الموضوعية والذاتية ووضوح التوجه العقائدي بقيادة الطليعة الثورية يبرز اهمية تبني الديمقراطية سبيلا لتحقيق التقدم الاجتماعي حيث تتيح للجماهير والشعب الكادح ان يخرج في الفترات الثورية الى مقدمة مسرح التاريخ ويبرز كقوة صدامية لتحقيق التقدم الاجتماعي ولاعادة انتاج العلاقات الاجتماعية (٣) وابداع علاقات جديدة وترسيخ ابعاد الثورة الاجتماعية التقدمية .

خامسا : الديمقراطية ومهمات النضال التحرري :

ان محور البحث يتركز في طبيعة العلاقة بين الديموقراطية كاطار سياسي وممارسات وبين التقدم الاجتماعي في الوطن العربي ولاشك ان التفصيل في تلك العلاقة على صعيد الواقع الراهن الذي تعيشه الاقطار العربية سوف يوضح فاعلية صيغ الديموقراطية الشعبية في تحقيق ابعاد التقدم وعدم جدوى الاشكال الليبرالية للديمقراطية المتمثلة في بعض الانظمة الرجعية ذوات السياسات المرتبطة بالانظمة الامبريالية فالديموقراطية الشعبية المنبثقة عن عقيدة ثورية تقدمية والمتمثلة في اطر حقوقية تشريعية وهياكل مؤسسية تنتظم فيها الطلائع الثورية تعتبر الاداة الرئيسية لتحقيق مهمات النضال التحرري سياسيا واقتصاديا واجتماعيا » .

١) لينين : المؤلفات الكاملة المجلد ١١ صفحة ٢١

٢) لينين المؤلفات الكاملة المجلد الرابع صفحة ٢٧٥

٣) ماركس ، انجلز ، المؤلفات مجلد ٧ صفحة ٨٦

٢ ـ النضال التحرري القومي :

لقد ادرك العمال والفلاحون العرب ان معركتهم هي معركة الجماهير الكادحة، وان نضالهم السياسي لا ينفصل عن النضال النقابي الطبقي وان اهداف التنظيمات النقابية ومهماتها تتحدد في اطار اهداف الشعب العربي في الوحدة والحرية والاشتراكية .

فالنقابات باعتبارها ، منظمات وطنية ، ديموقراطية ، ثورية ، ترتبط اهدافها بمستوى الحركة الثورية العربية التقدمية ، فمن الطبيعي اذن ان تقف المنظمات النقابية للعمال والفلاحين والكادحين ضد السيطرة وضد العدوان والغزو، وضد الانظمة البرجوازية التي ربطت مصالحها بمصالح الدول الراسمالية ، ولا بد ان يلتحم النضال التحرري السياسي بالنضال الطبقي النقابي التحام الثمرة بالنواة ، لان ثنائية وجه النضال هذا امر طبيعي واكيد ، باعتبار ان عدو الطبقات الكادحة هو عدو طبقي وسياسي في ان واحد . وان اي دعوة لفصل النضال السياسي عن النضال النقابي لا تستفيد منه الا الطبقات المستغلة والبرجوازية التي تحاول جاهدة قوقعة الحركة النقابية ، ودفع المنظمات النقابية للابتعاد عن اداء مهامها الوطنية الديموقراطية بحجة انها ليست منظمات سياسية(١) مستهدفين اضعافها وابعادها عن ساحة وجبهة القوى الثورية ، وقد وعت الحركة النقابية في فلسطين المحتلة هذه الحقيقة فربطت بين النضال السياسي والنضال النقابي(٢) كما ان القطر العربي السوري قد اوضح ضرورة توحيد النضال السياسي بالنضال الطبقي في قانون التنظيم النقابي الذي تشير اول مادة فيه في معرض تحديده لاهداف ومهمات التنظيم النقابي الى ما يلي :

(ان تحقيق اهداف الشعب العربي في الوحدة والحرية والاشتراكية)(٣) مؤكدا ضرورة تكامل النضال السياسي والقومي والطبقي للسير بالمجتمع نحو اهدافه التحررية .

(١) حكمت كوتاني ـ دراسات فكرية لحركة العمال النقابية في الوطن العربي دمشق ١٩٨١ صفحة ٣٦ .

(٢) د. امين امير ـ نقابيات ، موجز عن الحركة النقابية في العالم والوطن العربي والقطر العربي السوري صفحة ٨ .

(٣) قانون التنظيم النقابي رقم ٨٤ عام ١٩٦٦ .

كما ان البنى التنظيمية للاتحادات والنقابات تشمل جميع قوى الجبهة التقدمية التي توحد جهودها في سبيل بناء مجتمع التقدم والاشتراكية . وان استقراء واقع نضال الفئات الكادحة المنظمة في تنظيمات واتحادات رسمية وشعبية في الاقطار العربية ذوات التوجه التقدمي ، توضح الدور الكفاحي البارز الذي تخوضه الجماهير الكادحة البارز الذي تخوضه الجماهير الكادحة في التصدي لانواع التحديات والضغوط الاستعمارية والاستغلالية والمعادية للامة العربية .

بينما يحظر على اعضاء الجمعيات والنقابات في كل من تونس والمغرب واليمن الجنوبي وغيرها من الدول ذات التنظيمات القائمة على النمط الغربي والتي تسمح بوجود الاحزاب ووجود النقابات الانتساب الى اي تنظيم سياسي من اجل ابعاد تلك الهيئات والتنظيمات وجماهيرها الكادحة عن اداء دورها في النضال السياسي التحرري . كما منعت باقي الاقطار العربية ذوات التوجه الراسمالي وجود النقابات والاتحادات والتنظيمات السياسية والاجتماعية اساسا نتيجة سياستها الاستغلالية للطبقات الكادحة ، وارتباط مصالحها بمصالح البرجوازية العالمية المستغلة عدوة الكادحين وعدوة الامة .

ب ـ النضال التحرري الطبقي :

لم تعد التنظيمات الاجتماعية والنقابية في عصرنا الراهن وفي اطار التوجه التقدمي من حيث الوظيفة والهدف كالجمعيات والمنظمات المهنية التي تكتفي بالدفاع عن مصالح منتسبيها في قضايا العمل والاجور . وظروف العمل في المنشات بل اصبحت تنظيمات جماهيرية لها دورها الايجابي الفعال في الدفاع عن مصالح الطبقات الكادحة عامة وتاكيد دورها في بناء المجتمع التقدم الذي يكفل لابنائه الكفاية والعدل ، والمساواة والتحرر الكامل من اي نوع من انواع الاستغلال .

ولابد من التاكيد في البداية انه لايمكن باي حال من الاحوال تحقيق مطالب الفئات الكادحة من عمال وفلاحين وتطوير الواقع الاقتصادي خارج الصيغة الديموقراطية المتمثلة في تنظيم الجماهير الكادحة الثورية في اتحادات ونقابات تدافع عن مصالح تلك الجموع الواسعة وتعتبر بحكم موقعها كحلقة اتصال بين الجماهير وبين القيادة السياسية الاداة الاساسية لتحقيق التحرر والتقدم الاقتصادي(1) فمن خلال المد والدعم السياسي التي تمتاز به نتيجة بنيتها وتركيبها

(1) نجوى قصاب حسن د. صفوح الاخرس الخدمة الاجتماعية جامعة دمشق ١٩٨٢ .

الاجتماعي ومن خلال وجود ممثلين عنها في مجلس الشعب وفي القيادات السياسية تستطيع ان تكون القناة الاساسية التي تنقل الى القيادات المتطلبات والاحتياجات الفعلية للطبقات الكادحة وان تعرض مشروعات القوانين ، وان تطرح صيغ الحلول والمقترحات ومن ثم تكون هي المعنية والمسؤولة عن تنفيذ الاجراءات والخطط والبرامج التي تقرها القيادات السياسية العليا وعن ضمان فاعلية التنفيذ ونجاحه ويتمثل النضال النقابي الطبقي في تحرير فئات الكادحين عامة من التبعية واشكال الاستغلال والغبن وذلك بالنضال من اجل تعديل او اعادة تشكيل علاقات العمل على اسس العدالة والمساواة في كلا القطاعين الزراعي والصناعي ، وقد اثبت تاريخ النضال النقابي في المجتمعات الثورية والتقدمية الدور البارز الذي تمتعت به النقابات في الثورة ضد الاستغلال الاقتصادي وسيطرة راس المال الاقتصادي والتفاوت الطبقي ، وعلاقات العمل والانتاج في المجتمعات الطبقية الاقطاعية والبرجوازية والراسمالية، وكذلك دورها في ارساء مجتمع الطبقة الواحدة ، مجتمع العدالة والمساواة ، وبالتاكيد فان المسائل الاخرى والقضايا التي تهم الجماهير الكادحة وتمسّ مصالحهم الحيوية ، وحقوقهم تعتبر من المهمات التي تتولى النقابات والتنظيمات ، كممثلة من تلك الجماهير ، معالجتها ودراستها وطرح الحلول والمقترحات الكفيلة بمجابهتها وبشكل رسمي وجذري شامل ، لايقارن باي حل مع الحلول والخدمات التي تقدمها الجمعيات والنقابات في اطار الانظمة الراسمالية كحلول جزئية مؤقتة ومحدودة بفئات معينة ، وعديدة هي القضايا التي تندرج في قائمة اعمال واختصاصات التنظيمات النقابية ، والتي تخص حقوق العمال واحتياجاتهم ومطاليبهم والتي تخص ظروف العمل والمنشات وعلاقات العمل وخطط التنمية .

فالتنظيمات تعالج مشكلة البطالة ، واصابات العمل ، والخلافات وتحدد الاجور ، وساعات العمل ، والعطل ، وتحدد التامينات والضمانات ، وتسعى لتثقيف وتوعية العمال ، وتاهيلهم وتطوير سبل الادارة ، والغاء البيروقراطية وتسعى لرفع الكفاية الانتاجية وتطوير الانتاج ، وتنفيذ الخطط ، كما ان لها دورها البارز في المشاركة في التخطيط ، وفي الاشراف والمراقبة على التنفيذ ومعالجة المشكلات التي تعترض خطط التنمية ، وحقق تباعا استكمال العملية الثورية مرحلة بعد اخرى تبعا للامكانات والشروط الموضوعية المتاحة .

وباعتبار ان تلك التنظيمات تمثل غالبية الشعب من حيث العدد ، وتمثل الطليعة الثورية الكادحة من حيث المضمون فانها تتمكن الى حد كبير من المشاركة في السلطة وفي اتخاذ القرار وفي بناء المجتمع الثوري التقدمي .

جـ ـ النضال لتحقيق التقدم الاجتماعي :

لقد بادرت الدول ذوات الانظمة البرجوازية الى حل المشكلات الاجتماعية ومعالجة القضايا والمسائل الاجتماعية على طريق حلول فردية وخدمات محدودة يقوم بتقديمها الاختصاصيون الاجتماعيون او بعض الهيئات والجمعيات الخيرية والاهلية ، وانحصرت خدمات الافراد والاسر والمجتمع في تلك المبادرات بهدف تغطية حالات البؤس او حل المشكلات ، وتحقيق التكيف الاجتماعي من اجل اخفاء معالم التفاوت الطبقي والظلم والحفاظ على بقاء واستمرارية الانظمة ، الا ان هذا المفهوم البرجوازي الذي حدد خدمة المجتمع وحل مشكلاته في اطار حلول جزئية وفردية وخصوصية ، لا يؤدي باية حال الى خدمة الفئات المتنفذة ، واسكات الجماهير عن المطالب الحيوية .

اما تنمية المجتمع وتحقيق التقدم الاجتماعي فانه مهمة الجماهير الواعية التي تعبر عن رايها وتحدد متطلباتها في اطار تنظيماتها الشعبية التي تسعى الى تامين تلك الاحتياجات والمتطلبات على طريق المشاركة في رسم الحلول الجماعية والعامة والتي تعالج المسائل والقضايا معالجة جذرية وشاملة لمجموع المواطنين، فالتنظيمات الطلابية تنبري للدفاع عن حقوق جموع الطلبة فتبحث القضايا العامة التي تتعلق بالدوام والامتحانات وتبدي رايها في المناهج والانظمة التعليمية والسياسات التعليمية في جميع المراحل كي تناضل وتدرس متطلبات الطلاب المادية والعلمية وتنسق النشاطات الثقافية والترويحية وتقترح الحلول والاجراءات وتسهر على تنفيذ القوانين الناظمة والمخططات والبرامج .

كما ان المشكلات التي تعاني منها المراة لا تتم بتقديم حلول خاصة وفردية وانما بشكل جماعي يتولى معالجة كل ماتعاني منه النساء في اطار الاسرة والعلاقات الاجتماعية وعلاقات العمل ، وذلك ضمن الصيغة الديمقراطية الشعبية المتمثلة في التنظيمات النسائية التي عليها ان تدرك الواقع الذي تعيشه المراة فتطرح الحلول الفعالة على طريق ممثلي المنظمة في مجالس الشعب وفي القيادات السياسية وتشترك في اتخاذ القرار والتخطيط لرفع مستوى المراة والارتقاء بموقعها ودورها في المجتمع .

كما ان الادارة المحلية بحكم بنية تركيبها الشعبي والتحامها بجماهير الشعب ، وقربها منها ، وبحكم الدور الذي تضطلع به في مراقبة سير المخططات والبرامج وقدرتها على النقد وطرح الحلول تعتبر فيما لو اضطلعت بدورها تماما ان تكون المعيار الدقيق لرصد مسار التغير والتقدم الاجتماعي ، والموجه للخطط والبرامج المستقبلية ، كما انها بحكم التصاقها بهموم الجماهير ومعرفتها لطبيعة سلوكهم

ورغبود تطلعاتهم تستطيع ان تعدل من استجابتهم لعمليات التنمية والتقدم وتوجيهها بشكل ايجابي يخدم الخط التقدمي ويسرع من وتيرة التقدم عرقلة او ابطاء .

وان وجود فروع الكتائب في سائر قرى ومحافظات القطر ، والتواصل الذي يمكن ان يتم على طريق البنية التنظيمية للاتحادات والمنظمات السياسية والاجتماعية يمكن ان يحقق انجازات رائدة في رفع مستوى الوعي الاجتماعي العام سياسيا واجتماعيا وفي تعديل طبيعة العلاقات الاجتماعية ، ونسخ مالم يتناسب منها مع التقدم وترسيخ الاطر والبنى الاجتماعية التي تتوافق مع الخط التقدمي الثوري، وكذلك في تخفيف والغاء الفروق بين المدينة والريف وتامين الخدمات وتوزيع الانتاج والموارد بشكل عادل يحقق الكفاية ، والمستوى المعيشي اللائق بكرامة الانسان وان المهمات الملقاة على عاتق المنظمات الرسمية باعتبارها الاطار الاساسي والحلقة الرئيسية التي تربط بين فئات الشعب والقيادة السياسية العليا هي مهمات جسيمة في الاقطار العربية في المرحلة الراهنة اذ ان المشكلات التي تعيشها الاقطار العربية في تحولاتها الجذرية هي[1] مشكلات عديدة افرزتها ظروف الاستعمار والتخلف السابقة وتركت اثارها في الواقع الاقتصادي وفي الحياة الاجتماعية ، الامر الذي يستلزم تكثيف الجهود للقضاء على الترسبات وعلى المواقف والاتجاهات والمفاهيم التي تولدت في مراحل سابقة وما زالت بصماتها واثارها ممتدة في الاجيال المتتالية عبر عمليات التنشئة الاجتماعية ، وهذا ما يلقيه الى دور منظمات الطلائع ومنظمات الشبيبة والطلبة والمنظمات النسائية والعمالية والفلاحية ، والتي عليها اقتلاع جذور التخلف والقضاء على امراض الواقع ومساعدة الفئات الاجتماعية نضالا شخصيا واجتماعيا نضالا ضد النفس اولا . وضد امراض الواقع ثانيا(١) ان محاربة اللا مبالاة الناجمة عن الفهم الخاطيء لطبيعة العلاقة بين فئات المجتمع والسلطة سابقا ، ووجود فئات اجتماعية تربت في كنف المفاهيم التقليدية ، هي من ابرز المهمات التي يجب ان تتصدى لها الطليعة الثورية الواعية ، صاحبة المصلحة الحقيقية في التغيير الاجتماعي وفي تحقيق التقدم في جميع ابعاده ، كما ان القضاء على الفردية وغرس روح العمل الجماعي ، والقضاء على الفوضى الاستهلاكية ، وعلى الهدر وتنمية حس المسؤولية والالتزام بالاخلاق الثورية لا يتحقق الا في اطار ذلك التفاعل والتواصل الديناميكي الحي بين فئات المجتمع وبين طليعتها الثورية الرائدة خلال التنظيمات المتعددة ، وفي اطار مناخ اجتماعي منفتح رحب يسمح بابداء الراي والتعبير الصادق والنقد البناء ، وفي سياسة تؤكد الرقابة الشعبية بحيث يصبح كل فرد « مراقبا ومراقبا » (٢) مشاركا وملتزما بقضايا شعبه وامته .

(١ و ٢) ـ من خطابات السيد رئيس الجمهورية الرفيق الامين العام للحزب القائد حافظ الاسد .

ديمقراطية التشريع والتقدم الاجتماعي :

لقد اوضح الباحثون في ميدان علم الاجتماع القانوني العلاقة الوثيقة بين المجتمع والقانون ، وابرزوا الدور الهام الذي يمكن ان تحققه الانساق القانونية في الحياة الاجتماعية .

والقانون رغم انه « صياغة عقلانية لمتطلبات المعايير الاجتماعية والنظام الاجتماعي » كما وصفه أرسطو ورغم ان وظيفته هي تنظيم العلاقات الاجتماعية في سائر ميادين الحياة كالاسرة والعمل والمجتمع والدولة ، الا انه مرتبط بالسياسة العامة وبالفلسفة السياسية والاجتماعية السائدة في المجتمع ، انه كغيره من البنى الاجتماعية تجسيد وانعكاس لواقع البنى الاقتصادية ولطبيعة العلاقات الاقتصادية السائدة في المجتمع ولمواقف السلطة والفئات الحاكمة من الشعب ، وبديهي انه مع تحويل المجتمع من تشكيلة اقتصادية اجتماعية الى تشكيلة اخرى فان ذلك يتطلب تعديلا جذريا للقوانين السائدة في سائر مجالات الحياة ، فلا يعقل ان تسود وتنفذ قوانين مجتمع اقطاعي او برجوازي في مجتمع انتقل الى الاشتراكية ، وان عملية تعديل القوانين والتشريعات هي عمل يستلزم تكثيف الجهود بشكل مضاعف نظرا لاتساع القوانين وشمولها لجميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ونظرا لتشابكها مع التشريعات الدينية فيما يتعلق بقضايا الاحوال الشخصية ، وكذلك بسبب دينامية الحياة وسرعة تغيرها وتأثرها بحيث ان الصيغ القانونية الثابتة تعجز احيانا عن ملاحقة التطور والتقدم الذي يتم في مجالات الحياة ، من هنا تبرز اهمية العمل الدؤوب المخلص في مجال تعديل القوانين والتشريعات في المجتمعات التي تمر بمرحلة التحويل الاشتراكي ، اذ ان طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية تبقى في مرحلة التحويل متشابكة ومتداخلة مع اطر الانظمة القديمة بشكل من الاشكال ، ومن الصعب ان يتم الغاء ونسخ كل تلك العلاقات المعقدة والمتشابكة دفعة واحدة ودونما تهيئة واعداد دقيق للمناخ الاجتماعي لتقبل ما هو جديد وفهم ابعاده والالتزام به ، من هنا تبرز اهمية التنظيمات الرسمية الرسمية السياسية منها والشعبية في هذا المجال الحيوي والاساسي ، اذ ان الالتحام بالجماهير الشعبية وادراك متطلبات المرحلة الراهنة وتقدير استجابات

1 ــ ميادين علم الاجتماع ص ١٤١ جامعة دمشق ١٩٨٣ .

الناس لما هو جديد ومتقدم ، وطرح الحلول اللازمة وفي الوقت الملائم يعتبر من مهمات التنظيمات الرسمية والشعبية ، فهي وحدها تلمس واقع الاحتياجات الجماهيرية ، وهي المعنية بطرح مشروعات القوانين الى الحلقات التنظيمية الاعلى والى القيادات السياسية ، وهي المسؤولة عن تنفيذ القوانين والتشريعات، لان الديموقراطية تتمثل في اهم مؤشراتها بمدى نفاذ القوانين ودستوريتها . فالحل الاكيد والمجدي الان في مجال تعديل التشريعات والقوانين بما يتناسب مع التوجهات التقدمية هو ان تتسلم النقابات والتنظيمات السياسية والشعبية ذلك الدور ، ولقد اثبتت تجارب الثورات الاشتراكية نجاح ذلك الاجراء فقد اوكلت الى النقابات مهمة دراسة قضايا الضمان والتامينات الاجتماعية ووضعت هيئات الضمان الاجتماعي والحكومي تحت رقابتها(1) ، كما اوكل اليها مهمة تعديلات قوانين العمل والاجور والقوانين المتعلقة باوضاع عمل المراة وموضوعات وتشريعات وتامينات اصابات العمل وغير ذلك .

ولا بد من الاشارة في معرض دراسة تطوير القوانين والتشريعات الى مسالة هامة جديرة بالبحث وهي أن جماهير الفلاحين في القطر العربي السوري وفي معظم اقطار الوطن العربي يفتقرون الى اي نوع من انواع الضمانات والتامينات التي تتمتع بها جماهير العمال رغم انهم يشكلون ما يعادل ٦٠٪ من السكان في الوطن العربي ، ولا شك ان ايكال مهمة البحث في صياغة التشريعات والقوانين التي تحمي حقوق الفلاحين المنتجين الذين تقوم على سواعدهم دعائم التنمية الاقتصادية ؟ الى المنظمات الجماهيرية يؤدي الى التوسع في مشاركة فئات الشعب في بناء المجتمع ، وابداع صيغ حقوقية قانونية تحمي الجماهير الكادحة وتصون حقوقها (2) ، وهذا الامر بالطبع ينسحب على جميع التشريعات التي تتعلق بقضايا المراة وموقعها وحقوقها وتحررها ، والتي تتعلق بطبيعة العلاقات الاسرية والاجتماعية . والتي تحتاج الى ان تواكب مسار التقدم الاجتماعي وان تساهم في احداث التقدم الاجتماعي والتغير الجذري في المجتمع .

(1) زاخاروف تيفيلوف : الضمان الاجتماعي في الاتحاد السوفياتي ــ دار التقدم موسكو ١٤٥ .

(2) عزيز صقر ــ دراسات اشتراكية في الضمان الاجتماعي دار الجمهورية للطباعة والنشر ص ٢٢٣ .

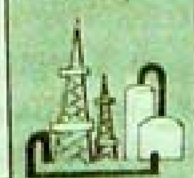
خاتمة وتعقيب :

« ان الاشتراكية اذ ترى ان المجتمع ينتج الانسان كانسان . فهي ترى كذلك ان الانسان ينتج المجتمع ، بمعنى ان الناس هم صانعو التاريخ وان التاريخ ما هو الا نشاط الانسان الذي يتوخى اهدافه ..» (1) . ولكي يصنع الناس التاريخ . لا بد وان تتوافر لهم الاداة الثورية الناجحة ، وان يتحلوا بالوعي والالتزام بقضايا الشعب والامة . وتحقيق الديمقراطية الشعبية في مفهومها التقدمي وفي ظل قيادة تمثل ارادة الشعب وعقيدة ثورية بناءة هي السبيل الذي يمكن الانسان من ان ينتج المجتمع ، وتمكن الجماهير من بناء الامة ومن دفع عجلة التقدم الاجتماعي وتحقيق التغيير الاجتماعي الثوري .

القيت هذه الدراسة في الندوة الفكرية « الحرية » التي اقامها مكتب الاعداد القطري في دمشق بتاريخ ١٢-١٢-١٩٨٦ .

---

(1) ـ بليمارك فلودين ـ كيف يتطور المجتمع ـ مكتبة المعارف السياسية ـ دار التقدم موسكو صفحة ٧٧ .



دراسات اقتصادية

واقع واتجاهات الطريق اللارأسمالي للتطور الاقتصادي والاجتماعي..

الرفيق : د. ناصر عبيد الناصر

احرزت حركات التحرر الوطني منذ بداية عصرنا الحالي وحتى الآن انتصارات ونجاحات قوضت مرتكزات الامبريالية ، والحقت بها هزائم متتالية على الصعيدين السياسي والاقتصادي .

لقد نشأت على انقاض النظام الاستعماري بعد الحرب العالمية الثانية ، دول فتية مستقلة ، انتزعت استقلالها السياسي كبداية لمرحلة جديدة من النضال من أجل السيادة الاقتصادية والتحرر الوطني الكامل ، غير أن معظم الدول التي تحررت من الاستعمار ، وحصلت على حريتها السياسية بقيت ، بشكل أو بآخر ، في نطاق الاقتصاد الراسمالي العالمي ، حيث حاول ويحاول الاستعمار الحديث السيطرة الاقتصادية على تلك الدول الفتية ومن ثم ربطها بسياسته ،

ولهذا فان هذه الدول تقف امام خيارين ، فاما أن تأخذ بالاسلوب الراسمالي طريقا للتطور ، وبالتالي تبقى خاضعة للنظام الامبريالي العالمي ، ولظروف التخلف والاستغلال . واما أن تاخذ بالاسلوب اللاراسمالي طريقا للتطور ، ومتابعة النضال للتخلص من التبعية الاقتصادية والسيطرة الاستعمارية ، وتحقيق التقدم والرفاه لخير شعوبها ..

فالاستقلال السياسي رفرظروفا ملائمة لتطور البلدان المتحررة . ولكن الاستقلال السياسي بحد ذاته غير كاف بعد لازالة تخلفها في المجال الاقتصادي ، وتحسين ظروف معيشة السكان وتأمين العمل واتاحة فرص التعليم للجميع . الا أن البلد المستقل سياسيا يستطيع بحرية ، التصرف بموارده ، وتوجيه تطوره الاقتصادي وفقا لمصالحه، اي يمكنه من متابعة النضال لاستكمال استقلاله الاقتصادي . وبتلك الطريقة يمهد الاستقلال السياسي للمرحلة التالية في ثورة التحرر الوطني مرحلة النضال من اجل الاستقلال الاقتصادي ، التي تطرح امام البلدان النامية حتما مسالة اختيار طرق وأساليب التطور الاقتصادي والاجتماعي التي تتحدد اما بموجب الطريق الاشتراكي، واما بالطريق الراسمالي . وبالفعل اتجهت بعض هذه البلدان بالطريق الراسمالي للتطور ، وبعضها سار في طريق التوجه الاشتراكي ، أي انقسمت هذه البلدان الى مجموعتين :

الاولى : وتشمل بلدان التوجه الراسمالي ، حيث تسيطر البرجوازية على زمام السلطة السياسية ، وانتهجت سياسة اقتصادية ، ترمي الى تطوير الراسمالية الخاصة بالتعاون مع راس المال الاجنبي وربط نفسها بشكل محكم بالاقتصاد الراسمالي العالمي ، على طريق تسهيل تغلغل الاحتكارات الدولية في الاقتصاد الوطني ، وبالتالي مزيدا من التبعية الاقتصادية . ومما يميز هذه الانظمة ايضا ، الفساد والرشوة والفوضى والاستخدام الطفيلي للمساعدات الامبريالية .

وفي الحياة السياسية لهذه البلدان ، تتفاقم التناقضات الطبقية بين البرجوازية المحلية والطبقة العاملة ،ويكتنف نشاطها الايديولوجي التعصب القومي البرجوازي .

والثانية : وتندرج فيها مجموعة بلدان التوجه الاشتراكي ، حيث تنزع الانظمة الديمقراطية الثورية مقاليد الحكم ، عبر التخلص من احتكار البرجوازية المحلية للسلطة السياسية . ومن خلال اعطاء الاولوية للقطاع العام ، الذي يعتبر اداة اقتصادية هامة في تقويض سيطرة الاحتكارات . وتقوم هذه المجموعة من البلدان بتأميم رأس المال الاجنبي ، أو فرض رقابة فعالة من جانب الدولة عليه ، كما تعرض قيودا معينة على القطاع الراسمالي الخاص . وفي مجال السياسة الاقتصادية الداخلية ، تتجلى الرغبة للحد من الطابع العفوي للتطور الاقتصادي ، والاخذ بمبادىء التخطيط .

وعلى الصعيد الاجتماعي ، تطبح بالامتيازات الاجتماعية ، وتتخلص تدريجيا من شبح الامية وتصدر تشريعات اجتماعية تحفظ حقوق العاملين ، بالاضافة الى تطبيق الادارة الديمقراطية لوسائل الانتاج .

اما في الحقل الايديولوجي ، فان بلدان التوجه الاشتراكي تعمل ما بوسعها على تكريس الطابع الديمقراطي الثوري على الصعيد المحلي والدولي . فعلى الصعيد المحلي تبعث من جديد الثقافة القومية التقدمية ، وتحرص على الديمقراطية الشعبية . الخ . وعلى الصعيد الخارجي تتصدر حركة التحرر الوطني في النضال ضد الاستعمار الحديث وضد الامبريالية والصهيونية . كما تعمل على توطيد علاقاتها السياسية والاقتصادية مع بلدان المنظومة الاشتراكية ، ومع سائر قوى التقدم في العالم .

فالبلدان التي سلكت طريق التوجه الاشتراكي ، تنجز المزيد من

التحولات الاقتصادية والاجتماعية ، التي تسهل عملية الانتقال الى الاشتراكية ، بمعنى ان هذه البلدان لم تصبح بعد اشتراكية .

تعددية الانماط الاقتصادية في بلدان التوجه الاشتراكي :

تتميز البلدان النامية قبل كل شيء بالاقتصاد المتعدد الانماط(١)، الذي يميزها عن الدول المتطورة اقتصاديا ، اذ ليس من المقبول تسمية اقتصاد الرأسمالية المتطورة بأنه متعدد الانماط لانه يسيطر هناك بلا منازع اسلوب الانتاج الرأسمالي ، وفي البلدان الاشتراكية تسود علاقات الانتاج الاشتراكية ، اي انه في الدول المتطورة اقتصاديا ، تسيطر العلاقات الانتاجية النظيفة .

اما تعددية الانماط الاقتصادية ، فتنتشر في اغلب البلدان النامية والتي يمكن حصرها بالتالي(٢) :

١- الاقتصاد العيني بشقيه المشاعي والاقطاعي - حيث لاتشكل المنتجات عادة للتبادل البضاعي ، بل تستهلك مباشرة من قبل المنتجين . ويشيع انتشاره عادة في الارياف .

٢ - النمط البضاعي الصغير في المدينة والريف . وفي اطاره يخصص جزء من المنتجات لاغراض التبادل ، بالاضافة الى العمل المأجور في بعض الاستثمارات الزراعية ، ولدى الحرفيين في المدن

٣ - الاستثمارات الرأسمالية العائدة للرأسمال المحلي، وتشمل

(١) - النمط هو طراز اجتماعي للانتاج تكمن في اساسه علاقات انتاجية محددة، وما يناسبها من قوى منتجة . ويمكن ان توجد ضمن اطر الاقتصاد الوطني لهذا البلد او ذاك . انماط اقتصادية مختلطة (اقطاعي - بضاعي صغير - الرأسمالية الخاصة - رأسمالية الدولة ... الخ) .

(٢) يوري وبوف - دراسات في الاقتصاد السياسي - الامبريالية والبلدان النامية - دار التقدم - موسكو عام ١٩٨٤ ص ٢٦٩ .

المؤسسات الرأسمالية الوطنية الصغيرة بالاضافة الى المشاريع الرأسمالية التي تقوم على التقنيات الحديثة .

٤ - المشاريع الرأسمالية التي تعود للرأسمال الاجنبي وللاحتكارات .

٥ - رأسمالية الدولة ، اي المشاريع التي تقع في ملكية الدولة وتعمل بموجب القوانين الاقتصادية المميزة لاسلوب الانتاج الرأسمالي .

٦ - القطاع الحكومي، ويشمل مشاريع الدولة في مجال الصناعة والزراعة والخدمات ، في البلدان التي اختارت طريق التوجه الاشتراكي .

والى جانب هذه الانماط الاساسية ، توجد في البلدان النامية على نطاق واسع أشكال وسيطة متنوعة ، وأنماط انتقالية للبنى الاقتصادية . ولكن ما يميز بلدان التوجه الاشتراكي ، هو سيطرة القطاع الحكومي ، وما يرافقه مع تقييد للرأسماليين الاجانب ، وكبح تطور الرأسمال الوطني . غير أن تطور قطاع الدولة ، لا يعني بالضرورة أن البلد يسير في طريق التوجه الاشتراكي . اذ كما هو معروف ، أن قطاع الدولة يتطور حتى في بلدان التوجه الرأسمالي . فالمضامين الاقتصادية والاجتماعية لقطاع الدولة تحددها العوامل التالية :

أ - دور وأهمية القطاع الحكومي في تطوير الاقتصاد الوطني .

ب - مجالات النشاط الاقتصادي التي يسود فيها القطاع الحكومي .

ج - طابع السلطة السياسية في البلد المعني ، والدور الذي تلعبه الجماهير الكادحة في قيادة الاقتصاد الوطني .

وبما أن القطاع الحكومي يلعب دورا مهما في التنمية الاقتصادية

والاجتماعية ، وكونه يسود في القطاعات الاقتصادية الرائدة ، وبما انه يحقق في ظل قيادة القوى الديمقراطية والثورية فانه في بلدان التوجه الاشتراكي ، يؤدي مهمة تقدمية ، ويساهم في تطوير البنية الاقتصادية في هذه البلدان . بينما قطاع الدولة في بلدان التوجه الراسمالي ، بالرغم من انه يساهم في تطوير القوى المنتجة ، الا ان دوره جوهر يبقى ثانويا ، ويخضع لمصالح القطاع الخاص الراسمالي

جوهر ومحتوى الطريق اللاراسمالي :

ان العلاقات الراسمالية في معظم الدول المتحررة حديثا ، من اسيا وافريقيا ، وفي بعض بلدان امريكا اللاتينية ، ضعيفة وتكاد تكون جنينية في الطور الاول ، وبامكان هذه البلدان أن تتجاوز الراسمالية كتشكيلة اقتصادية ـ اجتماعية ، وتنتقل مباشرة الى الاشتراكية دون المرور بالنظام الراسمالي . وقد اثبتت التجربة صحة توقعات منظري الماركسية ، بامكانية الانتقال الى الاشتراكية دون المرور بالنظام الراسمالي حيثنشر انجلز في عام ١٨٧٤ـ١٨٧٥، مقالا حول « المسالة الاجتماعية في روسيا » بين فيه ، أن بالامكان انتقال المزارع القبلية الروسية مباشرة الى الشكل الاشتراكي اذا ما بقيت فقط الى حين نضوج الظروف لذلك » ، وحتى تتحقق عملية الانتقال يرى انجلز ضرورة توفير مساعدة البروليتاريا المنتصرة في البلدان الراسمالية وتكون هذه المساعدة ، اما في ضرب قوة المثل في بناء الاشتراكية ، واما في اقامة قوى انتاجية عصرية في هذه البلدان . . . .

وفي عصرنا الراهن أضحت مسالة الانتقال بالطريق اللاراسمالي للتطور ، ظاهرة ممكنة بل وجدت لها مرتسما على ارض الواقع في العديد من دول المعمورة ، تحت تاثير عدة عوامل من اهمها :

ـ التفاعل بين الثورات في البلدان المتطورة والدول المتخلفة ، ومساندة ودعم هذه الثورات لبعضها .

ـ التاثير الايجابي للثورة الاشتراكية في البلدان الاكثر تطورا، على الدول ذات التوجه الاشتراكي ، عبر الاستفادة من التجربة التاريخية التي تراكمت لدى هذه البلدان .

ـ الدعم المادي والادبي الذي تلقاه الدول السائرةبطريق التوجه الاشتراكي ، من بلدان المنظومة الاشتراكية العالمية .

لقد سلك خلال العقدين الماضيين عدد كبير من بلدان اسيا وافريقيا طريق التطور اللاراسمالي وقد توضحت معايير اساسية تميز هذا الطريق ، تتمثل بـ :

١ ـ اقامة السلطة الثورية التي تضطلع بمهام السير في طريق التوجه الاشتراكي .

ب ـ تصفية البرجوازية والبيروقراطية ، واعادة تنظيم جهاز الدولة السابق .

ج ـ اشراك الكادحين في ادارة الانتاج ، عبر مؤسساتهم الجماهيرية .

د ـ تعزيز قدرات القوات المسلحة ، من أجل حماية مكتسبات الثورة . فالتاريخ يؤكد بان الجيش لا يمكن ان يقف محايداً وعديم الاكتراث بالتغيرات التي تحصل ، ولقد دحضت الحياة المزاعم القائلة بان الجيش يعتبر قوة قمع رجعية في جميع الظروف ، وايضا المغالاة بدور الجيش في الحياة السياسية امر مضر ، حتى أن البعض يذهب ليقول بان الجيش يمكن ان يؤدي الى نجاح وظائف الحزب السياسي الثوري ..

ومن الناحية العملية يتحدد دور الجيش في البلدان النامية ، بالطابع الطبقي للسلطة السياسية ويتوقف سلوك الجيش ، على مدى قدرة الحزب الثوري ، بتربيته عقائديا وايديولوجيا ، وتاهيل ضباط مخلصين للثورة ، ومسالة اعادة تنظيم الجيش ، ليصبح قوة فاعلة

من أجل الحرب والاعمار، تعتبر من أهم مهام بلدان التوجه الاشتراكي .

ـ والمنطلق الاخير لبلدان التوجه الاشتراكي ، هو النضال من أجل اقامة نظام اقتصادي دولي جديد ، وتوطيد تحالفها مع بلدان المنظومة الاشتراكية العالمية ..

شروط الانتقال بالطريق اللارأسمالي :

تتلخص الشروط الرئيسية الضرورية للانتقال بالطريق اللارأسمالي للتطور الاقتصادي والاجتماعي بـ :

أولا : اقامة سلطة الجماهير الشعبية الواسعة ممثلة بحزبها الثوري .

ثانيا : اطلاق الحريات الديمقراطية في هذه البلدان .

ثالثا : الاستفادة الواعية من الظرف الدولي الراهن ، سواء ما يتعلق بتفاقم الازمة العامة للرأسمالية ، بالاضافة الى الاستفادة من القدرات الاقتصادية والسياسية والعسكرية لبلدان المعسكر الاشتراكي ، من أجل تسهيل عملية الطريق اللارأسمالي للتطور ، والتي تتوقف ايضا على توازن القوى الطبقية في البلد المعني ، وعلى الدور الذي تحتله حركة التحرر الوطني . فالطريق اللارأسمالي للتطور، هو مرحلة ضرورية تاريخيا ، تقود الى تطوير المرافق الاقتصادية والخدمية ، وتمهد ايديولوجيا للانتقال النهائي الى الاشتراكية .

انماط الانتقال بالطريق اللارأسمالي للتطور :

اخذ الطريق اللارأسمالي للتطور ، يتوطد بشكل ملحوظ في انحاء المعمورة ، بعدما كان في الماضي وقبل ثورة « اكتوبر » ١٩١٧ مجرد فرضية ، وقد ظهر بموجب ثلاثة انماط أساسية هي (١) :

(١) ـ الاقتصاد السياسي للاشتراكية ـ مجموعة من المؤلفين البلغار ـ الطبعة العربية ـ صوفيا ـ ١٩٧٧ ـ ص ٤٥ .

١ ـ النمط « البروليتاري » ـ الديمقراطي :

انتقلت لاول مرة في التاريخ ، بالطريق اللارأسمالي للتطور ، شعوب آسيا الوسطى ، والشمال الاقصى ، وكازخستان ومناطق اخرى في الاتحاد السوفييتي ، ففي أزبكستان ، تركمانيا كازاخستان ، قرقيزيا ، القفقاز ، كانت تسود علاقات الانتاج ما قبل الرأسمالية ، أي أن النظام الاقطاعي ، كان سائدا انذاك في هذه المناطق التي اعتمد اقتصادها على تربية الحيوانات ، بينما الصناعة متخلفة جدا . ومستوى التطور الاقتصادي والاجتماعي لآسيا الوسطى وكازخستان، لم يكن أعلى من مستوى تطور بقية البلدان الخاضعة للسيطرة الاستعمارية . وبعد قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية اتجهت جهود السلطة المركزية لتطوير هذه المناطق ، فاقيمت التعاونيات وأنشيئت المصانع ، وتم تطوير الخدمات . وقد صاغ لينين بهذا الصدد المبدأ التالي : « الانتقال الابطأ والاكثر حذرا والاكثر ثباتا الى الاشتراكية (١) » ، وتبعا لهذا المبدأ استخدمت طرق وسيطة ومرنة ، تأخذ بعين الاعتبار الخصائص المحلية الملموسة ، في هذه الجمهوريات ولم يمضي وقت من الزمن (١٥ ـ ٢٠) سنة ، حتى استطاعت هذه الاقاليم ان تتخلص من تخلفها ، نتيجة للخطة العملية الطموحة ، التي لم تضطلع فقط بمهمة تطوير القوى المنتجة بل وضعت الحلول أيضا لسلسلة من المعضلات المعقدة ، مما ساعد ذلك في تضييق الشقة الاقتصادية والثقافية التي كانت تفصل بين شعوب آسيا الوسطى وكازاخستان وبين شعوب الاقاليم الوسطى في روسيا .

لقد تمت عملية تجاوز العلاقات الرأسمالية في المناطق السوفييتية، بموجب النمط البروليتاري الديمقراطي الذي اتسم بـ : أولا ـ الاخذ بالصناعة الثقيلة المكثفة ونشر التعاون الانتاجي ، وبذلك تم أحلال

(١) ـ لينين ـ المؤلفات الكاملة ـ المجلد ٤٥ ـ ص ٣٦٢ .

العلاقات الانتاجية الاشتراكية محل العلاقات الاقطاعية، وثانيا جرت عملية الانتقال من العلاقات ما قبل الرأسمالية الى الاشتراكية ،بتطبيق النظرية الماركسية ـ اللينينية وبقيادة الحزب الشيوعي السوفييتي ·

النمط الديمقراطي الشعبي :

يعتبر هذا النمط شكلا من أشكال الانتقال الى الاشتراكية ، دون المرور بالرأسمالية ، وقد طبق في العديد من البلدان ، منغوليا ، فيتنام ... الخ ... ففي منغوليا ، التي انتصرت فيها الثورة الشعبية في عام ١٩٢١ ، اقدم الحكم الثوري على مجموعة من الاجراءات منها: الغاء قانون القنانة ، فصل الدين عن الدولة ، تطبيق الديمقراطية الشعبية في الحكم والادارة، مصادرة المواشي من الاقطاعيين وتوزيعها على الفلاحين ، ومن ثم الانتقال الى تنفيذ متطلبات البناء الاشتراكي ، حيث سيطرت الدولة على التجارتين الداخلية والخارجية ، وبناء الاشكال المتنوعة للتعاونيات واشيدت المصانع المتطورة ·

ومما يميز النمط الديمقراطي الشعبي أولا : الاسترشاد بتعاليم الماركسية ـ اللينينية في ضوء الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية لهذه البلدان · التي تمكنت من الاطاحة بالعلاقات الاقطاعية ، وبناء الاشتراكية · وثانيا ، حققت عملية الانتقال من العلاقات ما قبل الرأسمالية الى العلاقات الاشتراكية بالاعتماد على قدراتها الذاتية ، وعلى المساعدات القيمة التي أسداها لها المعسكر الاشتراكي · ·

وهكذا ما ان فرغت هذه البلدان من مهام الثورة الديمقراطية الشعبية ، حتى وضعت البلاد على طريق بناء الاشتراكية ، وبفعل هذا النهج استطاعت أن تقفز قفزات عالية وسريعة في مجال التطور الاقتصادي والاجتماعي ·

٣ ـ النمط الوطني الديمقراطي :

بعد سقوط نظام المستعمرات الاستعماري ، وفي ظل انتصار للثورة الاشتراكية في العديد من دول العالم ، توافرت آفاق واسعة للتطور اللارأسمالي في بلدان آسيا وافريقيا حيث سارت في نهاية الخمسينات وبداية الستينات من هذا القرن ، دول كثيرة بموجب هذا النمط ، مثل جمهورية مصر العربية ، الجزائر ، سوريا ، غينيا ، غانا ، مالي ، بورما ، السودان ، الكونغو برازافيل ، تانزانيا ، وفي نهاية عام ١٩٦٩ ، اتجهت في هذا الطريق الصومال ، أوغندا ، ليبيا ، ··الخ اثيوبيا ، الصومال ·· ·الخ ·

يتميز هذا النمط عن النمطين السابقين للاتجاه نحو الاشتراكية ب (١) :

اولا : تغيير البناء السياسي الفوقي ، على طريق انتقال السلطة الى القوة الثورية ، التي هي ضد الرأسمالية كنظام ، وتهدف الى تحقيق الاشتراكية في نهاية المطاف ·

ثانيا : تتحقق السلطة السياسية ، دون القيادة المباشرة للبروليتاريا ، والماركسية اللينينية ليست ايديولوجية لها . وانما تتسم بمساهمة القوى الثورية الديمقراطية ، عبر قيام جبهات وطنية تتصدى في اطارها أحزاب تقدمية ، تتولى تسيير شؤون البلاد السياسية والاقتصادية كما في القطر العربي السوري ·

ثالثا : الاستفادة الواعية من مزأيا التقسيم الدولي ، للعمل ، بما فيه التقسيم الدولي الرأسمالي للعمل ، حيث بقيت هذه البلدان على علاقات اقتصادية وتجارية مرنة مع الدول الرأسمالية ، وهذا أمر طبيعي، لانها لو أقدمت مباشرة على قطع علاقاتها الاقتصادية معها، لوقعت في مشاكل اقتصادية لا حصر لها ، وذلك لان بناها الاقتصادية

(١) د· ناصر عبد الناصر ـ محمد كفا ـ مجلة الشبية ـ العدد ٦٥ ـ ص ١٢ ـ دمشق ١٩٧٦ ·

موروثة عن الاستعمار القديم.كما اتسع تعاونها الاقتصادي مع الدول الاشتراكية ، وان كان ليس بالمستوى المطلوب ٠

رابعا : يتسم هذا النمط بالتدرج،وبطول الفترة التاريخيةنسبيا، بالمقارنة بالاشكال المعروفة الاخرى للانتقال الى الاشتراكية ، كذلك يتسم باستمرار بقايا العلاقات ما قبل الرأسمالية التي ينشغل بها عدد لا بأس به من السكان ، بالاضافة الى تاثير الرأسمال الاجنبي الذي لم ينتهي بعد ٠

لقد اقدمت هذه البلدان وبدرجات متفاوتة على مجموعة من الخطوات ، التي حالت دون ظهور العلاقات الانتاجية الرأسمالية،والتي وفرت بدورها المناخ للانتقال الى الاشتراكية ، واهمها :

١ ـ تصفية السيطرة الاقتصادية للاحتكارات الاجنبية عبر تاميمها ٠ وهو اجراء معاد للرأسمالية ، اذا ما استخدمت المؤسسات المؤممة لصالح الجماهير ، فضلا عن ان تاميم الشركات الاجنبية يؤدي الى تقويض نفوذها السياسي ، ويحرر هذه البلدان من التبعية الاقتصادية للسوق الرأسمالي ..

٢ ـ تصفية الملكية الاقطاعية للارض ، عبر تطبيق قوانين الاصلاح الزراعي والتحويل الاشتراكي للريف ، ففي القطر العربي السوري ، كان ثلث الفلاحين محرومين من الملكية الزراعية ، قبل حل المسالة الزراعية في صالحهم ، في ظل ثورة الثامن من اذار لحزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٦٣وقبل الثورة الجزائرية،كان الاقطاعيون والاجانب ، يسيطرون على حوالي ٥٠ ٪ من الاراضي الزراعية ٠

٣ ـ تاميم وسائل الانتاج الكبرى،والمصارف وشركات التامين، كما تسيطر الدولة على القسم الاعظم من وسائل النقل والتجارتين الداخلية والخارجية ، مما عزز من مكانة القطاع العام الذي قطع الطريق على تطور علاقات الانتاج الرأسمالية ، ومهد الطريق لتغلغل علاقات الانتاج الاشتراكي ، ففي القطر العربي السوري ، تم في عام

١٩٦٥ ، تاميم سائر المؤسسات الصناعية الكبرى ، مثل صناعة النفط ، وصناعة النسيج والاخشاب ، والصناعات الغذائية الكهربائية ، والمصارف ، والسكك الحديدية ، وجانب كبير من التجارتين الداخلية والخارجية ، وفي الجزائر ، صودرت اموال الاجانب ، واممت ملكيات المضاربين والسماسرة والمهربين واخذ يحتل القطاع العام فيها مواقع متقدمة ، وفي غينيا اممت الفروع الاساسية للصناعة ومناجم الذهب والماس والنقل وتجارة الجملة والتجارة الخارجية .

٤ ـ تصنيع البلاد،لان التاميم وحده لايكفي لخلق وتطوير القوى المنتجة ، وبالرغم من الصعوبات التي تواجه مهمة التصنيع ، فقد قطعت البلدان السائرة بالطريق اللارأسمالي للتطور خطوات ملموسة على هذا الطريق ، فقد استهلت حركة التصنيع في القطر العربي السوري باشادة سدالفرات،لتوليد الطاقة الكهربائية اللازمة للصناعة وري الاراضي الزراعية ، وتم تطوير صناعة النفط والاسمدة الكيماوية ، والصناعات الغذائية والهندسية والتحويلية ٠ وفي غينيا اقيمت عدة محطات كهربائية ، واحدثت المزيد من الصناعات الغذائية والتحويلية ٠٠ الخ ٠ وهكذا بواسطة التاميم والتصنيع ، بدأ قطاع الدولة ، يحتل مواقع مؤثرة في اقتصاديات بلدان التوجه الاشتراكي، والذي عزز من استقلالها الاقتصادي ٠

ان الثورة الديمقراطية الشعبية ، كما هي مهيأة للانتقال الى ثورة اشتراكية ، ايضا قابلة للانتكاس والارتداد ، بفعل محاولات الاستعمار الحديث المتكررة ، التي تستهدف اعاقة التطور فيها،وتعمل على تراجعها ٠٠ والسير في هذا الطريق ، ومن ثم ضرب الانجازات التقدمية التي تحققت في هذه الدول ٠ وما تشهده مصر العربية اليوم، من تراجع عن هذا الطريق ليعتبر مثالا قريبا وملموسا ، اذ بعد ان قطعت شوطا كبيرا على طريق بناء الاشتراكية ، وحققت نجاحات مهمة على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، نجدانها اليوم تشهد

تراجعات متعددة ، نتيجة للسياسة التي انتهجها السادات المقتول ، الذي انساق في مخططات « كامب ديفيد » وتبنى « سياسة الابواب المفتوحة » والتي تعني مزيدا من التراجع عن الانجازات الثورية التقدمية ، التي تحققت عبر سنوات حكم المرحوم جمال عبد الناصر ٠ واليوم يتابع حسني مبارك ما خربه السادات ، سواء في تفتيت الصف العربي المعادي للامبريالية والصهيونية ، ام في تدمير القطاع العام المصري ، وفتح الباب على مصراعيه للاحتكارات الراسمالية.

ومن اجل احباط اية محاولة ، تقوم بها القوى المعادية « الثورة المضادة » ويضمان سير هذه البلدان بطريق التوجه الاشتراكي ، يفترض التشديد على الدور القيادي للحزب الثوري ، وتثقيف وتأهيل الكوادر الحزبية ، لتقود بنجاح عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بلدانها من ناحية ، وتطوير الديمقراطية الشعبية ، وتعميق التحولات الاشتراكية من ناحية اخرى ٠

وهكذا فان تعدد أنماط الانتقال بالطريق اللاراسمالي وهي : النمط البروليتاري الديمقراطي ـ والنمط الديمقراطي الشعبي ـ النمط الوطني الديمقراطي ـ يعود لاعتبارات داخلية ترتبط بطابع السلطة السياسية والبنية الاجتماعية وتناسب القوى الطبقية بالاضافة الى الخصائص المحلية والوطنية الملموسة ، التي تجري في اطارها عملية الانتقال كما تعود لاعتبارات خارجية تتعلق ، بتناسب القوى بين المنظومتين العالميتين الراسمالية والاشتراكية ، والموقف الدولي من جهة ، وبتفاعل التيارات السياسية في العملية الثورية من جهة اخرى . فالاعتبارات الداخلية والخارجية ، هي التي تحدد اساليب الانتقال على طريق التوجه الاشتراكي ، وبأي نمط يتجه كل بلد .

الشروط الضرورية لانجاح التطور اللاراسمالي :

لانجاح الطريق اللاراسمالي للتطور الاقتصادي والاجتماعي لا بد من (١) :

اولا : وجود حزب ثوري ، يضطلع بمهمة توجيه وارساء التطور اللاراسمالي على أسس الاشتراكية العلمية ٠

ثانيا ـ الاستفادة الواعية من قدرات وطاقات وخبرات القطاع الخاص المحلي ، وكذلك الاستفادة من رؤوس الاموال الاجنبية ، تحت الرقابة الشديدة للدولة .

ثالثا ـ تاميم المصارف والمناجم والمصانع ووسائل الاعلام ... الخ ، ونقلها الى ملكية الدولة .

رابعا ـ السير بتصنيع الاقتصاد الى الامام ، للحد من نفوذ الدول الامبريالية .

خامسا ـ التخلص التدريجي من الاقتصاد وحيد الجانب (مونو كولتور) ، ذي الطابع الزراعي عن طريق تطبيق الاصلاح الزراعي ، ونشر التعاون ، وتطوير الزراعة على اساس صناعي ٠

لقد دلت التجربة الرائدة للدول الاشتراكية ، بان الاتجاه اللاراسمالي للتطور ، هو الاقرب والاضمن للدول المتحررة حديثا ، وهو الطريق الموضوعي والتقدمي لتنمية المجتمع ، كما ان تجربة البلدان النامية التي سارت في الوجهة الاشتراكية ، قد اوضحت انه من الممكن تجاوز الراسمالية كنظام اقتصادي ـ اجتماعي . ونضال حركات التحرر الوطني في العالم يتجه الى تتويج الاستقلال السياسي بالتحرر الاقتصادي . ومهما حاولت الامبريالية ، املاء سياستها ، على الدول الفتية للسير على الطريق الراسمالي ، سيكتب لها الفشل ، تحت اصرار وصمود القوى الثورية في تلك البلدان ، وبمساعدة الدولة الاشتراكية .

(١) د. ناصر عبيد الناصر ـ الاقتصاد العام ـ منشورات جامعة حلب عام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ ص ٣٢٧ ٠

ان ما نشهده اليوم ، من تكاثف وتدعيم القوى التقدمية ، في تنظيم جبهوي واحد ، لهو دليل على ان الثورة الوطنية الديمقراطية ، في بلدان آسيا وافريقيا ، قد بلغت درجة كبيرة من النضج ، تمكنها من التصدي لكل متطلبات ومستدعيات البناء الاشتراكي .

لقد بدا التطور اللاراسمالي يتوطد كاتجاه اساسي ، لدول آسيا وافريقيا ، على الرغم من كل المناوئين لهذا التطور في الداخل والخارج ، الذين يحاولون استغلال الصعوبات التي تواجهها هذه الدول الفتية المتحررة ، ويحاولون اقتناص الاخطاء التي تقع بها للطعن بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية ، التي تم تنفيذها ، محاولين من ذلك كله **الاطاحة بالسلطة** الديمقراطية الثورية ، كما حدث في غانا ، مالي ، كمبوديا ، مصر مؤخرا .

ان مستقبل الدول النامية هو الاشتراكية ، بالرغم من تفاوت التطور السياسي والاقتصادي لهذه الدول ، لذا فان مشاركة الجماهير الواسعة في ادارة وتنظيم الانتاج ، ومساندة قياداتها الوطنية ، لهي الضمان في السير على طريق التقدم والاشتراكية هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان التعاون الخلاق المستمر المتبادل بين البلدان المتحررة حديثا ، وبين المنظومة الاشتراكية العالمية ، لهو ضمان آخر لانجاح التحولات الاقتصادية والاجتماعية في تلك البلدان ، والحد من تغلغل راس المال المحلي الكبير ، والتصدي للمؤامرات الامبريالية والرجعية ، وهذا ما ينسجم ومتطلبات التحولات الثورية في العالم .

— نقد وتحليل المفاهيم والاراء البرجوازية والتحريفية بشان التطور اللاراسمالي :

تقلل الاوساط البرجوازية من شان الطريق اللاراسمالي للتطور الاقتصادي والاجتماعي وتدعي ، بانه انحراف تاريخي مؤسف ، وتصريح سياسي مؤقت ، ناجم عن البواعث الشخصية لبعض زعماء بلدان آسيا وافريقيا .

ان الطريق اللاراسمالي للتطور ، ليس من بواعث الاقدار ، ولم يجر بمحض الصدفة اول عبث سياسي ارتكبه البعض وانما هو ظاهرة سياسية واقتصادية طبيعية تعكس الاتجاه الموضوعي للحتمية التاريخية ، وتعبر عن الارادة الثورية لمئات الملايين من الجماهير الشعبية .

وهذا ويشيع منظرو الغرب ، ان على المجتمعات ان تمر بجميع التشكيلات التي قطعها المجتمع البشري ، بل من المحتم ان تتقيد بذلك · ولكن مسالة الاستبدال المتعاقب للتشكيلات الاقتصادية — الاجتماعية ، لا تستبعد القفزات النوعية ، او ما يسمى « بحرق المراحل » ، فالتاريخ غني بالامثلة ، حيث انتقلت القبائل الجرمانية والسلافية الشرقية ، والهنود الحمر في امريكا ، والافغانيين والمنغوليين ، وبعض الشعوب الاخرى ، من النظام المشاعي البدائي الى النظام الاقطاعي ، دون المرور بالنظام العبودي · والتاريخ المعاصر يتحفنا بالعديد من الامثلة ، حيث انتقلت العديد من الدول المتحررة حديثا الى الاشتراكية دون المرور بالراسمالية ، منغوليا ، فيتنام الشمالية ·· الخ ··

يعزو دعاة البرجوازية من منظرين وسياسيين ، تخلف البلدان النامية الى تقصير ذاتي لشعوب تلك البلدان ، كما ينفون ويعارضون فكرة تقسيم العالم الى مستغلين (بالكسر) ومستغلين (بالفتح) ، وحسب رايهم ان العالم اليوم مجزا الى امم غنية وامم فقيرة ، وبذلك يدرجون الدول الاشتراكية في عداد البلدان الفنية المتطورة ، غايتهم من طرحهم هذا ، محاولة منهم اخفاء الفارق المبدئي بين الدول الراسمالية والاشتراكية ، تجاه البلدان النامية من اجل طمس وتشويه العملية الثورية في هذه البلدان .

ان القصد واضح من وراء تلك الاراء اللاعلمية هذه ، وهو طمس مسؤولية الدول الامبريالية ، التي عمدت الى تطوير القوة المنتجة ، في جزء من المعمورة ، حيث يعيش خمس سكان العالم فقط ، بينما تسببت في تخلف الجزء الاكبر من سكان العالم وحرمته من

ابسط وسائل الحضارة.وخلفت فيه قنابل موقوتة (الفقر ،المرض الجهل) ٠ ثم يطالبون جميع الدول المتطورة اقتصاديا ، بأن تقدم للدول المتحررة حديثا « مساعدات » بل وينصحون هذه البلدان بأن تسلك طريق التطور الراسمالي ، كسبيل للخروج من دائرة التخلف ـ حسب رأيهم ٠ كما تدعي بعض الاوساط الايديولوجية بصورة سافرة بأن بلدانهم تسير على طريق التطور الراسمالي (لبنان،الهند، الاردن ، المغرب ٠٠ الخ) وفريق أخر من الايديولوجيين والساسة البرجوازيين ، يحاولون التعتيم على ميولهم وتمسكهم بالطريق الراسمالي للتطور ٠

في الوقت نفسه تشاع افكار وآراء مفادها ، بأن الاشتراكية العلمية غريبة مع البلدان المتحررة حديثا ، وهي مجرد افكار مستوردة من اوروبا ، ولا تخدم المصالح الاقتصادية والسياسية لهذه البلدان ٠

وهناك اتجاه آخر يروج له من قبل الدوائر البرجوازية ، يرى بأن الاشتراكية ليس بنظام اقتصادي ـ اجتماعي ، يرتكز على الملكية العامة لوسائل الانتاج ، ويستبعد اي شكل من اشكال استغلال الانسان للانسان ، وانما مجرد قواعد اخلاقية ناظمة لتصرفات وسلوك الانسان ٠ وبالطبع تلعب القواعد الاخلاقية دورا مهما في تحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي،ولكن هذا غير كاف لان الاشتراكية لا تبنى بالمعنويات والاخلاق فقط ، بالرغم من اهميتها ، وانما لابد من اجراء تحولات اشتراكية ، تشمل سائر مناحي المجتمع ٠

ان النظريين والساسة البرجوازيين ، حين يرفضون الاشتراكية العلمية ، انما يتهربون عمليا من تحديد موقفهم من مسالة الاختيار بين الطريق الراسمالي ، والطريق اللاراسمالي للتطور ، وهذه القضية مطروحة أمام ثورة التحرر الوطني ، وهي مطالبة بأن تحدد موقفا من الطريق الذي ينبغي السير عليه ، اما القول بأن الاشتراكية تتعارض وطبيعة الغالبية الاسلامية من السكان ، فهو قول باطل من الناحيتين النظرية والعملية ، وهذا ما تؤكده تجربة الجمهوريات

السوفييتية في اسيا الوسطى ، وفي القطر العربي السوري وفي الجزائر ٠٠٠ الخ ٠ ففي المنطلقات النظرية لحزب البعث العربي الاشتراكي جاء « تهدف الاشتراكية الى اقامة نظام اجتماعي جديد ، يخلق ظروفا موضوعية ، اقتصادية واجتماعية وفكرية وسياسية جديدة ، تعتق الانسان من جميع أنواع الاستغلال والتسلط والجمود وتتيح له الفرص لكي يصير انسانا حرا كاملا»(١)٠

وفي الميثاق الوطني للجزائر ورد « أن انتصار الاشتراكية في الكثير من البلدان ، قد غير ليس فقط مصائر مئات الناس وحسب ، بل وخلق موقفا دوليا جديدا ، يتصف باشتداد الحركة المناهضة للامبريالية ، ونهوض النضال من أجل التحرر الوطني ، وانتشار الايديولوجية الاشتراكية في العالم بأسره »(٢) ٠

فالواقع العملي ، يدحض مزاعم المفكرين البرجوازيين هؤلاء، ويظهر أن تطور الرأسمالية قد تم من خلال الاستغلال والنهب الاستعماري لخيرات وثروات شعوب اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية٠ ولقد اثبتت التجربة التاريخية أن الطريق الراسمالي للتنمية ، لن يساعد على حل المهام الوطنية والاجتماعية المطروحة امام شعوب هذه البلدان ٠ في هذا المجال يمكن الاشارة ، الى العديد من دول امريكا اللاتينية،التي نالت استقلالها السياسي منذ حوالي ١٥٠ عاما، ومع ذلك ما يزال اقتصادها ، يتصف بالطابع « الكولونيالي » ، فقد استمرت تلك الدول في توريد المواد الاولية والزراعية للامبريالية الامريكية ٠

وحين ينصح ممثلو الغرب ، الدول المتحررة حديثا بالسير على الطريق الرأسمالي ، يعني ذلك التطور البطيء ، ويعني عمليا حفظ الماضي في معلبات،وبالتالي فان الطريق التقليدي الراسمالي،لايمكن أن يحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للدول الفتية ، فحسب،وانما

(١) بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس في تشرين الاول ـ ١٩٦٣ ـ ص ٧٠ ٠

(٢) الميثاق الوطني لجمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ، ص٢٢ ٠

سيكرس من التبعية الاقتصادية ، ويعزز من نفوذ الامبريالية في هـذه المنـاطـق ٠ ـ ـ

هناك بعض المختصين والمهتمين الذين يتخذون مواقع يسارية « متطرفة » يعارضون التوجه الاشتراكي للبلدان المستعمرة سابقا ، ومنهم على سبيل المثال كاوتسكي ، دافع عن مقولة « بقاء المستعمرات في اطار الدولة المستعمرة سابقا » ، من أجل الحفاظ على مصالحها « المتبادلة النفع » ، والبعض الاخر نفى امكانية الانتقال بالطريق اللاراسمالي ، ومنهم الاشتراكي الديمقراطي ـ فان كول ، الذي قال من على منبر مؤتمر « شتوتغارت » للاممية الثانية عام ١٩٠٧ « اذا قدمنا آلة للمتوحشين في افريقيا الوسطى ، فكيف عساهم أن يتصرفوا بها ! ؟ ، لربما انهم سيرقصون حولها ٠٠ واذا ذهبنا نحن الاوربيين الى هناك بالادوات والآلات ، لاصبحنا ضحايا لاولئك القوم ، ولـذا يجب أن نذهب الى هناك شاهرين السلاح » (١) ، ومن هذا القبيل ، ينفي بعض المنظرين ،الافاق الاشتراكية في البلدان المتحررة حديثا ، لانها بالضبط لم تنضج بما فيه الكفاية في « القدر الراسمالي » ، ولم تبلغ « مستوى معينا من الثقافة » ٠٠

وعن قصد أو غير قصد ، لا يفرق بعض ممثلي « اليسار الطفولي » بين مجموعتي البلدان الفتية ، ذات التوجه الراسمالي ، وذات التوجه الاشتراكي ،مدعين أن في كلتيهما ،يوجد قطاع للدولة ، واصلاح زراعي ، وتأميم ما للراسمال الاجنبي ، وحققت نموا معينا في مجالي الصناعة والزراعـة .

بالطبع علاقات الانتاج في الدول النامية ليست واحدة ، فبعضها تسيطر فيها العلاقات ما قبل الراسمالية ، وبعضها الآخر ، تظهر فيها العلاقات الراسمالية ضعيفة ، وثالثة تسيطر فيها العلاقات الراسمالية ، واخرى تتشابك فيها العلاقات الاقطاعية مع الراسمالية ، غير أن هناك فارقا مبدئيا بين بلدان التوجه الراسمالي وبلدان التوجه الاشتراكي من حيث : :

(١) لينين ـ المؤلفات الكاملة ـ المجلد ٥) ، ص ٢٦٢ ٠

ـ طابع السلطة السياسية ،وفي بلدان التوجه الاشتراكي ،تتولى قيادة السلطة احزاب ديمقراطية ثورية ، توفر المقدمات المادية لبناء الاشتراكية ، وهذا ما يميزها عن المجموعة الاولى وبلدان التوجه الاشتراكي ،تعتبر التغيير الثوري للمجتمع ليس اصلاحا من « الاعلى » ليحول دون الانفجار « من الاسفل » ، بل هو عبارة عن تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة تتحقق بمشاركة الجماهير الكادحة . وبوجه عام يلعب الدور المقرر بالنسبة للسياسة الداخلية لهذه البلدان ، من الذي يسير دفة الحكم ، هل ممثلو الامبريالية ، او القوى التقدمية المعادية لها ٠ وفي ضوء طبيعة السلطة السياسية ، يكتسب قطاع الدولة والاصلاح الزراعي ٠٠ الخ ، اما مضامين تقدمية ـ جماهيرية واما مضامين رديئة يقصد بها احتواء الجماهير والالتفاف على نضالهم الثوري ٠

وتختلف مجموعتا البلدان النامية من حيث السياسة الخارجية ، حيث تقيم علاقات متباينة مع الدول الراسمالية والدول الاشتراكية ، فثمة دول من مجموعة التوجه الراسمالي ، مثل السنغال وزائير وجنوب افريقيا ، ومصر « كامب ديفيد » مؤخرا ، ومعظم بلدان امريكا اللاتينية . الخ . لا تزال تدور في فلك الدول الاستعمارية ،وتنتهج محليا ودوليا سياسة رجعية محافظة ممالئة للامبريالية ٠ بينما مجموعة بلدان التوجه الاشتراكي ، مثل القطر العربي السوري ، اليمن الديمقراطي ، الكونغو برازافيل ... الخ تسير اليوم على طريق التحولات الاجتماعية ذات الآفاق الاشتراكية ، وتحطم صلتها العضوية بنظام رأس المال العالمي ،وتنتهج سياسة معادية للامبريالية والصهيونية ، علما ان مجموعة هذه البلدان ، تتباين هي الاخرى فيما بينها ،من حيث طبيعتها الاجتماعية والسياسية ، ومدى تقدمية الانظمة فيها ٠

من سياق ما ورد ، يعتبر الطريق اللاراسمالي للتطور عملية ـ تاريخية ٠ سلكته العديد من الدول المتحررة حديثا ٠ والامور التي تبعد هذه البلدان عن الراسمالية ، هي التي تقربها من الاشتراكية ،

وطريق التوجه الاشتراكي هو مرحلة انتقالية من صنع الحركات الثورية في العالم ، في نضالها ضد الامبريالية ٠

ان تجربة نصف القرن للتطور اللاراسمالي في بعض جمهوريات الاتحاد السوفييتي ، وفي منغوليا ، وعدد من الدول الفتية ، تفسح لنا المجال للكشف عن المحتوى الاقتصادي والاجتماعي لطريق التوجه الاشتراكي والذي ينطوي على ما يلي :

- تطوير القطاعين الحكومي والتعاوني ٠
- توفير المقدمات السياسية والاقتصادية للاخذ بالتخطيط العلمي ٠
- الحد التدريجي من دور الراسمال الوطني ، وتقييد نفوذ الراسمال الاجنبي ٠
- التخلص التدريجي من البنية الاستعمارية للاقتصاد الوطني ٠
- توسيع العلاقات الاقتصادية مع دول المنظومة الاشتراكية والاستفادة من خبرتها ٠

لقد انجزت وتنجز تلك التحولات التقدمية في بعض الدول النامية ، في ظروف صراع طبقي حاد بين الطبقات والفئات والشرائح التي تساند الراسمالية ، وتطالب بارساء علاقات وطيدة مع الدول الامبريالية ، وبين الفئات والطبقات التي تنادي بتعميق التحولات الديمقراطية ـ الثورية ، ومن ثم توفير المقدمات الاجتماعية ـ والمادية للانتقال الى الاشتراكية ٠ وفي هذا المجال تلعب المساعدات السياسية والاقتصادية والعسكرية للبلدان الاشتراكية ، دورا كبيرا ، للسير قدما في طريق التوجه الاشتراكي ، والقفز على الراسمالية كتشكيلة اقتصادية اجتماعية ، لاختصار الطريق المؤدي الى بناء مجتمع التقدم والاشتراكية ٠

تقارير



لمحة تاريخية عن الأمة العربية قبل تأسيس الحزب

إعداد الرفيق: عبد القادر عبيسي

لم ينبع فكر حزب البعث العربي الاشتراكي من الفراغ ، ولم تضع ايديولوجيته نتيجة لتجليات فلسفية ضمن اربعة جدران مغلقة ، انما كان ميلاد افكاره حصيلة ظروف تاريخية مرت بها الامة العربية منذ قرون عدة . فالازمة الحضارية التي عانتها الامة العربية في القرون الوسطى ، جعلت الوطن العربي معرضا للغزو الاستعماري ، سواء أكان هذا الغزو وافدا من قبل الحكومات المجاورة ، ام كان قادما من وراء البحار ففي الوقت الذي كانت فيه الامة العربية تفقد رويدا رويدا قدرتها على الحفاظ على مصير حضارتها كانت قيادات « المغول والتتار والاتراك » تغزو وسط اسيا وغربيها وشرقي اوربة ، لتحطم ممالك وتقيم ممالك اخرى ، في حين ان المجتمع الاقطاعي الفروسي الاوربي ، اخذ يتطلع بابصاره الى خارج حدود بلاده ويفكر بغزو العرب في عقر دارهم ، في شمال افريقيا ، وشمال بلاد الشام ، وفلسطين ،

ولقد استطاعت الامة العربية أن تصمد في وجه محاولات الإبادة التي شنتها عليها زعامات التتار والمغول القبلية كما استطاعت أن تصمد ايضا في وجه محاولات السيطرة التي حاولت ان تفرضها عليها الاسر الاقطاعية الاوربية في الحروب الصليبية التي استغرقت حوالي قرنين من الزمان .

غير ان الحروب التي شنها زعماء التتار والمغول من جهة والحروب التي قامت بها الاسر الاقطاعية الاوربية من جهة ثانية ، قد تركت الامة العربية خربة الديار مهشمة الامكانيات الحضارية معدة للتسليم لاول غاز قوي الشكيمة .

وكان حكام (الدولة العثمانية) اول من مد يده الى الوطن العربي ، عقب الغزوين : التتري والاقطاعي الاوربي لذلك فقد كان سهلا على حكام هذه الدولة الفتية الناشئة ، ان يستولوا على أجزاء كثيرة من ارض الوطن العربي ، استيلاء مباشرا او غير مباشر .

ولان حكام الدولة العثمانية لم يكونوا ابدا ذات يوم حملة رسالة حضارة للانسانية ، فانهم باستيلائهم على الوطن العربي لم يستطيعوا ان يمدوا لابنائه يد المعونة الحضارية وكان العكس هو الصحيح ، فلقد اخلوا يمتصون من التراث الحضاري العربي ، البقية الباقية منه ، ما شين القهقرى الى الوراء لهدم الحضارة العربية ، حتى كان مطلع عصر النهضة الحديثة .

وفي مطلع عصر النهضة ، اخذت المراكز الحضارية الاوروبية ، التي كانت على صلة حضارية وتجارية في الماضي مع العرب ، تستشرف لاقامة علاقات حضارية وتجارية بالوطن العربي وخاصة بالاقطار الواقعة على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، غير ان « الطوق العثماني » كان شديد الاحكام على الوطن العربي ومارس عملية قطع الصلات الحضارية بين الامة العربية وكل الاقطار الاوربية الناهضة ، حرصا منه على ابقاء الاوضاع العربية على ماهي عليه ليسهل عليه استغلالها والسيطرة عليها ، وكان يساعد (الحكام العثمانيين) في محاولاتهم تلك ، شعور عام كان يجتاح الوطن العربي ، كاره للعلاقات مع المجتمع الاقطاعي الاوربي مشكوك به نتيجة للغزوات الصليبية وما لاقى فيها من الام .

غير ان هذا الطوق العثماني المحكم ، وذلك الشعور بالكراهية العربية للعلاقات مع حكام اوربا ، لم يمنع العرب من الاتصال الجزئي بالنهضة الاوربية فلقد انتشرت المطابع في كثير من البلدان العربية منذ القرن السادس عشر كما انتشرت الفنون وبعض العلوم ، وذلك على طريق العلاقات الثقافية والتجارية المحدودة ، التي كانت تنشا احيانا بين بعض الاقطار العربية وامارات حوض البحر الابيض المتوسط الاوربية ولقد ادى هذا الاتصال الجزئي ، الثقافي والتجاري الى انعاش ضروب من الزراعة الرائجة للسوق في اوربا واعطى هذا كله ، مردودا ظاهرا في كثير من الحركات الاستقلالية عن السلطة العثمانية ، التي بدرت من كثير من الامراء ، في اجزاء متعددة من الوطن العربي ، خاصة في اقاليم المغرب ومصر وبلاد الشام . وعلى الرغم من ان هذه الحركات الاستقلالية ، كانت حركات بورجوازية اقطاعية قبل كل شيء ، فانها انعشت الروح العربية ، واعادت لها ثقتها بنفسها ، بعد قرون طويلة من الضياع الحضاري والسياسي .

غير ان هذا « التحرك العربي » ، الذي كان يمكن ان يصبح تحركا حضاريا وسياسيا لصالح التحرر العربي الشامل ، قد طوق من قبل « الحكام العثمانيين» باساليب من القمع المعتمدة على تخويف العرب من « حروب صليبية جديدة » في الوقت الذي كانت فيه (البرجوازية الاوربية) تمديدها بالفعل الى « مصر وبلاد الشام » عن طريق جيوش نابليون ، والى شطان الجزيرة العربية ، على طريق اساطيل البرتغال والاسبان والانكليز .

ونتيجة للمطامع الاستعمارية البرجوازية ، في بلاد العرب فان الامة العربية قد استيقظت ذات يوم لتجد نفسها مهددة بالابادة ، بسبب تخلفها الحضاري ، الذي كشفته بقوة ، غزوة « نابليون » لبلاد مصر والشام . حيث تعتبر غزوة نابليون لبلاد العرب نقطة تحول هام في حياة العرب لا لانها جاءت معها بالعلوم والاداب ، كما يدعي عادة بعض المستشرقين والمؤرخين بل لان العرب قد لمسوا حقيقة تخلفهم الحضاري بايديهم ، وحزموا امرهم على ان بقاءهم وحريتهم مرهونان بمدى استيعابهم للحضارة الحديثة وما فيها من علوم وفنون .

ومنذ « غزو نابليون » لبلاد العرب ، والعرب مجمعون على أن ازمتهم قائمة في تخلفهم وعلى انه لا بد من تبني حضارة العلم والتقنية للوصول الى الحرية والكرامة .

وفي الوقت الذي كانت فيه (مصر) تدق باب العلم والتقنية الحديثين ، ظهرت « الحركة الوهابية » في الجزيرة العربية ، على غير أساس حضاري معاصر ، ردا على الاحتلال العثماني لبلاد العرب غير ان هذه الحركة المقطوعة الجذور بالعصر الذي تعيش فيه لم تلبث ان دمرتها الجيوش المصرية ، الحديثة وكان هذا ارهاصا لان طورا من حياة العرب الثقافية والحضارية قد انتهى وان طورا جديدا قائما على العلم والتقنية قد اذن بالولادة .

لقد كان على العرب ان يردوا على تخلف واقعهم باسلوب جديد ، غير الطرق التي ردوا بها على تخلف واقعهم في الماضي ، في الوقت الذي كان عليهم ان يواجهوا الاحتلال الرجعي العثماني ، والمطامع الاستعمارية للبرجوازية الاوروبية ، وفي الوقت الذي كانت الامة العربية تبحث فيه عن ذاتها في العلوم والتقنية كانت تحاول انعاش روحها القومية ، ببعث تراثها الحضاري الماضي . والاقتباس من التراث التحرري الاوربي المعاصر ، فنشطت في الوطن العربي محاولات تقدمية في الاداب والفنون ، تستشرف المستقبل ، ولا تنظر الى الماضي الا من زاوية خدمة الاغراض التحررية للامة العربية ، لقد كان الماضي الحضاري للامة العربية ، حافزا وليس كابحا ، وكان وسيلة لبناء المستقبل فحسب وليس مكانا للقداسة

والتعبد ، ومن اجل هذا فقد كان سلاحا في معركة المصير العربي أزعج الاحتلال الرجعي العثماني فأراد تطويقه ، وأخاف المطامع الاستعمارية للبرجوازية الاوربية ، فشددت الحملة عليه ، اما الحكام الرجعيون والعثمانيون فقد وقفوا من تطلعات العرب الحضارية موقف الجزع على امبراطوريتهم خوفا من زلزلة الارض تحت اقدامهم ، وكان عليهم ان يتبينوا مع العرب استشراف المستقبل ، غير ان الماضي الحضاري العربي قد اقض مضاجعهم فهم غير قادرين على تبنيه ، لانه ينتزع السلطان من ايديهم ، فصمموا على محاربته والقضاء عليه ، في الوقت الذي طرحوا فيه « شعار المستقبل » المتجسد في « الحركة الاتحادية ، التي تبنت مع الغرب شعارات الحضارة الحديثة لتضرب في الوقت نفسه صلات العرب بماضيهم الحضاري وفي واقع الامر فان الدولة الرجعية العثمانية لم تتبن شعارات المستقبل الحضارية ، الا هربا من الزحف الحضاري العربي وتطويقا لهذا الزحف ، لذلك فقد جاء هذا التبني فارغ المدلول الحضاري ، من اجل هذا ، كان على العرب ان يعملوا بمفردهم في مجرى الحضارة العالمية وكان عليهم ان يؤسسوا الجمعيات والاحزاب التي تعلن اعلانا نهائيا استقلالهم عن السلطة العثمانية وبداية حياتهم الحضارية من جديد .

اما الاستعمار الاوربي الذي كان يعمل لايقاع الفرقة بين العرب والعثمانيين، لينقض على الوطن العربي ، فقد رأى في يقظة الروح العربية القومية المعتمدة على العلم الحديث والتقنية ، ولادة لدولة فتية في قابلة للغزو الاجنبي ، والتدخل البرجوازي الاستعماري ، لذلك فقط خطط لضرب الاتجاه الحضاري العربي ، بواسطة الاتجاه الرجعي العثماني ، حتى اذا ما فاز بهزيمة الجيوش المصرية في بلاد الشام ، انقض على مصر فاحتلها ، ومارس فيها عملية حرفها عن الاتجاه الحضاري العلمي ، في الوقت الذي كان فيه المغرب العربي ، يعاني الابادة الجماعية ، من قبل جيوش الاحتلال البرجوازية الاوربية .

لقد كان على الجيوش الاحتلالية البورجوازية الاوربية ، ان تضرب في مصر كل تطلع عربي وكل تطلع علمي تقدمي،وان تلهيها عن قضاياها القومية والحضارية بقشور الحضارة وزائف القومية ، وان تفت في شعبها روح الصمود والمقاومة ، والتطلع الى الافق العربي الحضاري التقدمي ، كما كان على الجيوش الاحتلالية البورجوازية الاوربية ، ان تقتلع من المغرب العربي سماته العربية الاصلية ، على طريقة الابادة الجماعية للجنس واللغة والثقافة جميعا ، في الوقت الذي كان فيه ساسة اوربا البرجوازية يفاوضون الرجعية العثمانية الضعيفة العاجزة · ان اليقظة العربية التقدمية العلمية ، كانت وما تزال حلما مرعبا في اذهان الساسة الاستعماريين البورجوازيين في اوربا · لان دولة عربية واحدة تقوم من المحيط

الاطلسي الى المحيط الهندي على اسس علمية تقدمية ، لا يمكن ان تسمح بغزو افريقيا ، واستعباد شعبها ونهب ثرواتها ، ولا يمكن ان تأذن بالمرور الى اسيا لنهب خيراتها والسيطرة على مقدراتها ، لذلك فقد كان داخلا في حساب الاستعماريين البورجوازيين في اوربا ، ان نهبهم لخيرات العالم ، يجب ان يتم مرورا بالوطن العربي ، وعلى جسد الامة العربية .

وفي الوقت الذي كان العرب فيه يتحركون كامة مقهورة على مصيرها الذي تعبث فيه الرجعية العثمانية من جهة والبورجوازية الاستعمارية الاوربية من جهة ثانية ، كانت القيادات الاقطاعية العربية من التفاهة وضحالة الشخصية ، بحيث كانت عبئا على التحرك العربي وعثرة في طريقه ذلك لان كانت في غالبيتها، قيادات منقطعة الجذور ، منقطعة الاصول الثقافية والحضارية بالامة العربية ، لقد كانت قيادات وعائلات من بقايا عهد المماليك ، الذي هو في الاصل نتيجة لظاهرة الازمة الحضارية العربية في العصور الوسطى ، ومن بقايا الحكم العثماني المتردي ، واذا كانت هذه القيادات عجزت عن دفع الصيرورة العربية الى الامام، فليس لانها قيادات رجعية او اقطاعية فحسب بل لانها قيادات احتلالية في الاصل غريبة عن قضايا الوطن العربي ومصالح الامة العربية ، ذلك لان كثيرا من القيادات الاقطاعية والرجعية في ايطاليا والمانيا وروسيا وكثير من البلدان الاوربية قد استطاعت في ظروف حضارية معينة ان تدفع بعجلة شعوبها الى الامام وان توحدها وتهيئها حضاريا لمرحلة تاريخية جديدة ، على عكس ماكانت عليه القيادات الاقطاعية الاحتلالية العربية ، التي كانت عبئا في مسيرة التقدم العربي .

ان التطلع العربي الى الامام ، الذي واصل السير منذ القرن السادس عشر ، والذي اصطلحت عليه قوى كبيرة معادية ، داخلية اقطاعية وعثمانية رجعية واوربية برجوازية ، قد اخذ يعطي لنفسه « هوية » محددة الملامح منذ القرن التاسع عشر في زحمة التصالب المتعمر للمصالح الاقطاعية الداخلية والعثمانية الرجعية والاوربية البرجوازية ، ففي هذا القرن ، ظهرت محاولات كبرى لتوحيد العرب في دولة واحدة ، على طول الارض العربية وعرضها ، وفيه ظهرت محاولات اخرى لتحرير الارض العربية من سيطرة الاستعمار البرجوازي الاوربي او الاحتلال الرجعي العثماني ، كما ظهرت محاولات اخرى لسيطرة ابناء الشعب على مقدرات بلادهم الاقتصادية والعسكرية ، كما قامت ثورات هنا وهناك للاحاطة بالزعامة الاقطاعية والسيطرة على الارض التي هي الوسيلة الاولى للانتاج في ذلك الحين .

وكانت ترافق هذه المحاولات الوضعية ـ المبشرة في ارجاء الوطن العربي ،

محاولات بعض الشباب المثقفين من الذين انحصرت ثقافتهم على مفاهيم الحضاري، او ممن كانت لهم صلات وثيقة بالثقافة الغربية ، وهم بمجموعهم قد استطاعوا ان يعبروا عن مرحلة تاريخية تمر بها الامة العربية وأن كانوا لم يستطيعوا ان يستلموا زمام قيادة امتهم ، في اكثر ظروفها التاريخية حراجة ودقة • وجاءت الحرب العالمية الاولى ، نهاية المطاف في معركة استنفدت طاقات الرجعية العثمانية ، في الوقت الذي كانت فيه الامة العربية مغلوبة على امرها في مغربها وعاجزة عن تقرير مصيرها في شرقها وفي الوقت الذي كانت فيه الصهيونية العالمية وساسة البرجوازية في انكلترا وفرنسا قد اتفقوا جميعا على اقتسام ما تبقى من الارض العربية خاضعا للاحتلال العثماني .

وما من شك في ان انتصار القوى الاستعمارية الانكليزية والفرنسية والصهيونية في الحرب العالمية الاولى وسيطرتها على الجناح الشرقي من الوطن العربي ، قد خلق ظروفا صعبة جديدة ومعطيات نضالية جديدة في حركة التحرر العربي •

فالبرجوازية التجارية والاقطاعية العربية ، التي كانت موضع اتهام او هجوم في عهد الاحتلال العثماني قد عقدت اتفاقات ثنائية الطرف مع الشعب العربي من جهة ومع العسكرية الاستعمارية البرجوازية من جهة ثانية ، واخذت تمتص نقمة الشعب العربي بركوبها موجة ثوراته ، في الوقت الذي كانت تتآمر على تلك الثورات . وفي الوقت نفسه كان العسكريون البورجوازيون الاستعماريون يتآمرون على تطلعات الامة العربية نحو الوحدة المتحررة . كان البرجوازيون والاقطاعيون العرب ، يركزون مع المستعمرين مفاهيم الدول العربية ، ذاتها الحدود المتفق عليها بمعاهدات دولية وبساعدتهم في اصطناع الممالك والجمهوريات العربية ذوات النقد المستقل والرايات المتميزة والجيوش المختلفة .

ومقابل هذه الخدمات ، التي قدمتها البورجوازية التجارية والاقطاعية العربية ، للاستعماريين الاوربيين في تحقيق تطلعاتهم نحو تمزيق الارض العربية الى دول وممالك وامارات ، فقد عمد هؤلاء المستعمرون الى انعاش النهم المالي لدى البورجوازية والاقطاعية العربية بتحقيق آفاق لها في التعامل التجاري والصناعي ارحب من ذي قبل بحيث اصبحت معتمدة رسميا لدى البورجوازية العالمية في تصدير منتجات الوطن العربي للاسواق البورجوازية الاوربية وفي استيراد الحاجات المتزايدة للاسواق العربية من منتوجات المصانع البرجوازية الاوربية وهكذا فقد مارست البورجوازية والاقطاعية العربية دور « العميل التجاري » للاسواق البورجوازية الاوربية ، في الوقت الذي كانت تمارس فيه دور العميل السياسي

للعسكرية البورجوازية الاوربية وهذه العمالة المزدوجة ، قد وضعت البورجوازية والاقطاعية العربية في موقف الصدام المباشر مع تطلعات الجماهير العربية في شرقي الوطن العربي وغربه .

ان الاستعمار البورجوازي العسكري الاوربي للوطن العربي ، بعد الحرب العالمية الاولى ، قد « عرى » البورجوازية والاقطاعية العربية تعرية نهائية ، ووضعها في موضع الادانة والاتهام من قبل الشعب العربي كله ، لذلك فقد كان الناتج الطبيعي لمرحلة « ما بين الحربين » ان اصبحت قضية الشعب العربي في جانب ، وقضية البورجوازية والاقطاعية العربية في جانب اخر ، هو جانب العمالة للاستعمار و « الخيانة للقضايا العربية » المطروحة منذ القرن التاسع عشر .

• وهكذا فقد توضحت « المعركة القومية » للامة العربية واخذت هوية صراع قومي تحرري متلاحم مع الصراع الطبقي ومكون معه « وحدة حياتية » لا يمكن فهمها•

وكانت فترة الحرب العالمية الثانية ، مناسبة نادرة لدى البورجوازية التجارية والاقطاعية العربية ، لتشارك الجيوش الاستعمارية مشاركة اكبر في نهب ثروات الوطن العربي والتسليم للمستعمرين بقضايا السياسية والقومية الكبرى . ففي هذه الفترة المحدودة ، كانت البورجوازية التجارية العربية تمارس اعمال السطو التجاري المزدوج بالاتفاق مع البورجوازية العالمية وتطور نفسها مع ورجوازية تجارية محضة تقريبا ، الى بورجوازية تجارية صناعية تستطيع ان تقدم الى جيوش الحلفاء بعض الخدمات الصناعية في حروبها مع الجيوش المحورية واذا كانت البورجوازية الصناعية الاوروبية ، قد استطاعت ما بين الحربين أن تجعل من البورجوازية التجارية العربية عميلا لها . فانها استطاعت من خلال الحرب العالمية الثانية ان تجعل منها عميلا صناعيا او ذيلا محدود الغرض ، غير قادر على النمو المستقل ومكره على الارتباط الدائم بالاقتصاد والبورجوازي الاوربي . ولاجل هذا ، فقد كان مستحيلا على هذه البورجوازية العربية الذيلية ، ان تمارس حقها في اعلان الحرب على البورجوازية الاستعمارية الاوربية عندما فرضت الوجود الصهيوني في فلسطين ، قاعدة عسكرية وسياسية لمستقبل مصالحها في المنطقة كما كان مستحيلا عليها ان تلعب تجاه هذه المؤامرة الكبرى على الامة العربية غير الدور المحدود الذي رسمته لها البورجوازية الاستعمارية الاوربية ، والذي لا يتعدى ، الاحتجاج الظاهري المشفوع بالاعتذارات الرسمية من جراء وطأة الجماهير العربية .

وهكذا فقد تكشفت الحرب العالمية الثانية ، لدى الشعب العربي ، عن مؤامرات استعمارية بورجوازية عالمية ومحلية ضده واخذ الشعب العربي يدرك

اكثر من ذي قبل ان وصوله الى حريته يجب ان يتم مرورا بقصور الاقطاعيين العرب وبمصالح البورجوازية التجارية والصناعية العربية وان هذه الطريقة هي الطريق الوحيدة الصحيحة للوصول الى الوحدة العربية املا لاجيال العربية . ان عملية الفرز الطبقي ، قد مارستها جماهير الامة العربية بكل وضوح في اعقاب الحرب العالمية الاولى وجاءت الحرب العالمية الثانية ، فزادتها وضوحا ، وبذلك تبدت مسيرة الامة العربية مسيرة لجماهيرها الكادحة ، وانتقلت قضايا العروبة من الضبابية القومية والشعارات الضعيفة المحتوى ، الى الوضوح النظري ، في البعد القومي المرتبط بآمال الجماهير العريضة . في هذه الظروف العربية القاسية التي انشأها الاستعمار القديم ، والاحتلال الصهيوني الجديد والتي ادت الى تجزئة الوطن العربي وتقسيمه الى امارات ودول مصطنعة ، يقصد منها تكريس انقسام الوطن العربي ، وبالتالي تجزئة الامة العربية وقتل الروح القومية بين ابنائها وتعطيل امكاناتها بالمشاركة في التقدم الانساني والمساهمة في التحرر العالمي وحجبها عن مسيرة التاريخ ، ليبقى الوطن العربي ، بدولة المجزأة الضعيفة (مزرعة) تتقاسم خيراتها البورجوازية العالمية ، والصهيونية مع الحكام المحليين والبورجوازية المحلية في هذه الظروف ذ النادرة المثال في العالم ، كانت الجماهير العربية تكتب رسالتها القومية والانسانية بدماء شهدائها في الوقت الذي كان فيه الاستعمار العالمي والبورجوازية المحلية يحاولان تشويه رسالتها. باصطناع اشكال جديدة من الشعارات الجديدة للامة العربية وباقامة تكتلات اقليمية ، ممسوخة المضمون ، فارغة المحتوى دعية على قضايا الجماهير العربية . ان قضايا الجماهير العربية كانت من الوضوح ، بحيث ان قرنا كاملا من الزمان كان يلقي على جوانبها الانوار بكل قوة ، ويزيد في تعريفها الى العالم ، وجلاء كل غموض عنها ، وعلى الرغم من المحاولات الاستعمارية لتشويهها ، فان المعطيات التالية كانت اوضح ما فيها واكثرها بروزاً على الشكل التالي :

١ ـ اعلان الجماهير العربية الحرب على الاستعمار بجميع اشكاله واعتبار الامبريالية العالمية والصهيونية شكلا جديدا وخبيثا من اشكال الاستعمار .

٢ ـ ادانة الجماهير العربية لتعامل البرجوازية المحلية مع البورجوازية والامبريالية العالمية اقتصاديا وسياسيا ، حيث هيأت لها السبيل لجعل الوطن العربي مزرعة ، يديرها البورجوازيون المحليون لصالح الاستعمار والامبريالية العالمية .

٣ ـ حكمت الجماهير العربية على البورجوازية والاقطاعية المحلية بالخيانة للقضايا القومية العربية ، عندما اباحت للبورجوازية العالمية اقتطاع اجزاء من الوطن العربي والحاقها بالدول المجاورة ، التي يتآمر حكامها ايضا مع البورجوازية العالمية على مصالح الشعوب ، كما حكمت الجماهير العربية ايضا

على البورجوازية والاقطاعية المحلية بالتواطؤ مع الصهيونية العالمية ،والامبريالية عندما اباحت للاحتلال الصهيوني ارض فلسطين بدون مقاومة تذكر ، ولاجل هذا فقد قررت الجماهير العربية ، البورجوازية والاقطاعية المحلية ، ومن له صلة بها من سياسيين محليين محترفين ، وضعت هؤلاء جميعا في صفوف « اعداء الشعب العربي » .

٤ ـ جددت الجماهير العربية تاكيدها القديم على ان الوصول الى الوحدة العربية المبنية بزنود الكادحين العرب هي امل العرب الاول في الحياة الحرة ، القائمة على الكرامة ، كما جددت الجماهير العربية تاكيدها القديم على ان الوصول الى الوحدة العربية المنشودة لا يمكن أن يتم الا بالقضاء على الاستعمار القديم والامبريالية العالمية والصهيونية الدولية . وان القضاء على الاستعمار لا يمكن أن يكون الا مرورا بقصور الاقطاعية العربية ومصالح البورجوازية المحلية، ولهذا فقد كانت « الاشتراكية » في معطيات النضال الجماهيري العربي ، ذات مدلول تحرري قومي ، وذات محتوى ، وحدوي ، عربي ، في الوقت الذي كانت فيه طريقا لاخراج الانسان العربي من الضياع الانساني الذي فرضته عليه العصور البورجوازية والاقطاعية والازمة الحضارية العربية ، وكانت الوحدة العربية ذات المضمون التحرري الاشتراكي ثورة شعب مضطهد اضطهادا مزدوجا محليا وعالميا ، فشارك شعوب العالم المضطهدة رفض كل انواع الظلم والاستغلال المحلي والعالمي ، ووقف الى جانب ثوار العالم في مكافحة الاستعمار والبرجوازية والامبريالية وتقليم اظفارها في العالم .

٥ ـ : لقد اعتبرت الجماهير العربية نفسها « اداة النضال الثوري » الوحيدة ، في الوطن العربي والامل الوحيد في اخراج الامة العربية من ازمتها الحضارية والسياسية ووضعها في مسيرة التقدم العالمي ، لبناء الدولة العربية الحديثة ذات المحتوى الاجتماعي التقدمي والمضمون التحرري الانساني ، ومن هنا فان الجماهير العربية جددت الدعوة الى جعل « العمل » اساسا للحضارة والتقدم والقيمة ومقياسا للروابط العادلة في المستقلة بين الكادحين ، ودعت الى تقديم العقل على الالهام ، والعلم على الخيال والتجربة على الحدس لاخراج العرب من واقع التخلف العلمي والحضاري الى المسيرة العلمية العالمية ، المناضلة في وجه اسرار الطبيعة والعاملة على حل رموزها وتسخيرها لخدمة الانسان ، كما دعت الجماهير العربية الى الانتقال من الواقع العربي الى المفهوم السياسي والاجتماعي والثقافي ومن الحاجة الانسانية الى المثل الاعلى ومن حرية الفكر الواقعي التجريبي الى العقيدة الثورية الموضوعة في خدمة الكادحين واعتبرت الممارسة العملية اساسا في المعرفة والنضال والسياسة والاقتصاد .

٦ ـ : لقد قدست الجماهير العربية حرية الفرد في اطار مصالح الكادحين من ابناء الامة ومصلحة التقدم الانساني والحضاري ، كما قدست حرية الامة

الاطماع الصهيونية في افريقيا :

لم تكن القارة السوداء بعيدة في يوم من الايام عن الاطماع الصهيونية ، فهي قد وردت او بعض اجزائها كاحد البدائل لاقامة المشروع الصهيوني ، الذي اعتمده الصهاينة مع بداية هذا القرن.

ولما فشلت الامبريالية والصهيونية في فك الحصار الاقتصادي السياسي الاجتماعي الذي فرضه العرب على الكيان الصهيوني ، خاصة بعد الصفعة التي تلقتها في اجهاض محاولاتها لحضور « اسرائيل » مؤتمر عدم الانحياز الاول ، بفضل الموقف الصلب الذي وقفه آنذاك **الرئيس الراحل جمال عبد الناصر** ، وعندما فشلت في هذا اخذت « اسرائيل » تدرس جديا تمتين علاقاتها بافريقيا ، باعتبار انها تشكل المخرج والمنفذ الوحيد المتاح امامها نحو العالم الثالث .

وفي عام ١٩٥٨ وجهت غولدا مائير الى رئيس الوزراء الاسرائيلي رسالة تنصحه فيها باختراق افريقيا ، الا ان رئيس الوزراء الاسرائيلي آنذاك تحفظ على هذا المشروع من منطلق ان «اسرائيل» حديثة وغير قادرة على اقتحام هذه القارة بعد ، ولكن مائير اصرت على فكرتها واثبتت على حد قولها ان « الكرسي شاغر » اي ان افريقيا خالية « فلماذا لا نذهب نحن اليها » وهكذا رسمت مائير السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا واكدت ذلك بقولها امام « الكنيست » « باننا لن نلزم انفسنا بسياسة لاتتلاءم مع مصالحنا ولن نطلب منهم الزام انفسهم بسياسة تكون في نظرنا افضل او اسوا نحن نثق تماما في ان الدول الافريقية سوف تكون دائما على اتفاق معنا ، كذلك نحن على ثقة من انها سوف تفهمنا دائما . وفي مقابل ذلك نحن لا نضع اي شروط ، كما لا نطلب منهم حتى الوعد بمساعدتنا في معركتنا مع العرب بل كل ما نطلبه منهم هو الصداقة الخالصة فقط» . وقد تطور هذا المفهوم في تعبير بن غوريون عام ١٩٦٠ « فالصداقة الاسرائيلية الافريقية تهدف في حدها الادنى الى تحييد افريقيا في الصراع العربي ـ الاسرائيلي وفي احسن حالاتها ضمان

مساندة افريقيا للوضع الاسرائيلي » . ومما لا شك فيه ان « اسرائيل » اخذت ترسم تطلعاتها نحو افريقيا مستندة الى افق هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية، **الذي ينظر الى القارة الافريقية على انها الامتداد المحتمل للكيان الصهيوني في المستقبل اكثر من كونها وطنا لليهود .**

ابعاد التغلغل الصهيوني في افريقيا :

١ ـ البعد الامني :

وهو بعد له مدلولات خاصة ومتطورة في الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي . بدءا من مفهوم تامين الشرعية، من خلال انشاء علاقات دولية عوضا عن القطيعة العربية ، ومحاولة اكتساب اصوات الدول الافريقية في المنظمات الدولية ، وفي هذا الصدد يقول بن غوريون : « ان الدول الافريقية ليست قوية ولكن صوتها مسموع في العالم واصواتها في المنظمات الدولية متساوية في قيمتها مع اصوات الدول الكبرى » غير ان هذا المفهوم امتد فيما بعد ليشمل فكرة « حصار المحاصر » بتامين مراكز سياسية وعسكرية في حزام الدول الافريقية المحيطة بالدول العربية ، وعلى هذا الاساس بدات « اسرائيل » تركز في بداية الامر على دول افريقيا الشرقية اي الدول الاقرب الى « اسرائيل » والوطن العربي ، لتحقق فكرة حصار المحاصر وبالتالي الوصول الى الحزام الامني الاسرائيلي الذي يمتد جغرافيا، وحسب مفهوم المؤسسة العسكرية الصهيونية حتى زائير الامر الذي يتيح لها اتخاذ سلسلة من التدخلات العسكرية المباشرة او التنسيق العسكري لخدمة اهدافها . ومن هنا نجد التواجد العسكري الاسرائيلي الفاعل والمؤثر في العديد من الدول الافريقية بدءا من حماية الرئيس حتى تصدير الاسلحة والاتجار بها ، ولقد تصدر الاعتبار الامني استراتيجية « اسرائيل » منذ وقت مبكر بهدف تامين امنها من جهة والامن الغربي من جهة اخرى لمواجهة حركة التحرر الوطني العربية والافريقية معا .

٢ ـ البعد السياسي :

سلكت « اسرائيل » في هذا الاطار مختلف السبل من اجل تحقيق اهدافها في القارة الافريقية وقد تعددت هذه السبل وتنوعت وكانت تتراوح بين سرعة الاعتراف السياسي او التبادل الدبلوماسي فور الاعلان عن الاستقلال احدى الدول الافريقية ، اذ كانت « اسرائيل » تستغل وضع هذه الدولة او تلك المستقلة حديثا بعرض العون الاقتصادي ثم تليه المرحلة الاهم وهي عقد اتفاقيات وتوجيه الدعوات لزيارة « اسرائيل » . ولقد نجحت « اسرائيل » من خلال هذا المخطط المدروس والمساندة الغربية في غزو معظم دول القارة من خلال النشاطات المتنوعة التي استطاعت استغلالها من اجل تعزيز تواجدها في القارة السوداء . ولم تقتصر علاقاتها الدبلوماسية مع اثيوبيا وليبيريا عام ١٩٥٧ بل استطاعت خلال عشرة اعوام ان تقيم علاقات دبلوماسية **مع ٣٢ دولة افريقية فضلا عن التمثيل القنصلي الفخري على خمس اقاليم افريقية اخرى كانت معظمها لا تزال مستعمرات مثل (غينيا بيساو ـ وسوازيلاند ـ انجولا ـ روديسيا) وفي الوقت نفسه اقامت احدى عشرة دولة افريقية تمثيلا دبلوماسيا لها في « اسرائيل »** الامر الذي حقق « لاسرائيل » عام ١٩٦٧ مكانة دولية بارزة لم تبلغها من قبل وقد اعتبر هذا العام المد الاسرائيلي في افريقيا . ولكن هذا المد لم يلبث ان تعرض « لنكسة مفاجئة » اثر قيام حرب تشرين التحريرية وهذا ما نتعرض له في سياق الموضوع .

٣ ـ البعد الاقتصادي :

وهو بعد يرتبط بالدرجة الاولى بمواجهة الحصار الاقتصادي الذي فرضته الدول العربية على « اسرائيل » ومن اجل فتح اسواق لمنتجاتها في المجالات المختلفة والحصول على المواد الاولية التي تحتاج اليها وايجاد قاعدة تعاون من خلال مشاريع استثمارية مشتركة وتشغيل الفائض من العمالة الاسرائيلية في تقديم الخبرة والاستشارة لدرجة ان ـ ٣٠٠٠ ـ خبير اسرائيلي مع الف تقني تقريبا كانوا يعملون بشكل دائم في دول افريقيا حتى عام ١٩٧٢ بالاضافة

الى مشاريع الشركات الاسرائيلية الحكومية منها والخاصة على اعتبار انها اكثر الطرق فعالية الامر الذي جعل من شركة « سوليل بونية » وشركة « **كوراند وستريز** » تعمل في كل ارجاء القارة ولقد ذكرت صحيفة يديعوت احرونوت الاسرائيلية « **ان حجم العمليات الاقتصادية السنوية للشركات الاسرائيلية في القارة الافريقية يصل الى اكثر من مليار دولار** » ومن تتبع مسار النشاط الاسرائيلي على الصعيد الاقتصادي في افريقيا يجد ان مؤشرات التصدير الاسرائيلية الى دول القارة زادت من ٣٢ مليون دولار الى ١٣٠ مليون دولار عام ١٩٨٢ ومجموع طلبات البلدان الافريقية من شركات الهندسة والبناء وصلت حوالي ملياري دولار عام ١٩٨٣ كما حظيت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بحضور متميز في القارة الافريقية بتصريف منتجات صناعاتها الحربية **ففي عام ١٩٨٣ وصلت قيمة صادرات الاسلحة الاسرائيلية الى مليار دولار شملت** سائر انواع الاسلحة . ويقول دبلوماسي افريقي في هذا الصدد « ان اسرائيل تقدم لنا خدمات عسكرية من تدريب الخبراء الى تقديم الاسلحة وبدون شروط مسبقة » كما نشطت في افريقيا اكثر من ٤٠ جمعية صداقة افريقية اسرائيلية تسترت خلفها الاطماع الصهيونية والامبريالية .

صورة التواجد العربي في افريقيا :

للاسف الشديد لا يوجد مشروع لتواجد عربي موحد في افريقيا يتبناه كل العرب وفق منظور موحد بل نجد ان لكل دولة عربية تصور خاص عن التواجد وضمن المكاسب الذاتية ، ولربما انطلق هذا التصور من الجهد المقرون لكل دولة عربية على حده ، والذي يهدف الى جر الدول الافريقية الى تأييد العرب في قضيتهم وقطع علاقاتها مع اسرائيل مقابل دفع ثمن هذا الموقف بالمساعدات المالية والتي بلغت ما بين ١٩٧٥ ـ ١٩٨٥ ما يعادل (١٠ مليارات دولار) الامر الذي جعل صورة التواجد العربي تقتصر على جانب المساعدات المالية فقط في حين انعدمت العلاقات الاخرى على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي بما فيها العلاقات الدبلوماسية

التي وان وجدت فبشكل هامشي محض. الامر الذي اثار حفيظة زعماء افريقيا حول طبيعة هذه العلاقات غير المتزنة مما جعلهم يرددون امام الصحفيين الاجانب « ان العرب يملكون المال وتنقصهم الخبرة » وقد ناقشت المؤتمرات الافريقية هذه الظاهرة وكشفت مدى الفراغ الذي يتركه غياب الموقف العربي الموحد تجاه الصراع العربي الصهيوني وخطورته على مواقف الدول الافريقية وعلاقاتها مع العرب وهذا ما جعل اللوبي الصهيوني المتواجد في القارة يلجأ كعادته الى اقناع الافارقة بطبيعة العلاقات الاسرائيلية الافريقية واثارة غضبهم على العرب بالتركيز على التشكيك في جدوى المساعدات العربية والتعاون العربي الافريقي والعمل على حث الدول الافريقية على التخلص من شروط المساعدات العربية المفروضة عليهم . ولقد ساهمت **الولايات المتحدة الامريكية في هذا الاتجاه من خلال شن حملة اعلامية على المساعدات العربية لافريقيا والتي اعتبرتها غير كافية بل هي ضئيلة جدا ولا توازي المساعدات الاسرائيلية الامريكية وباقي الدول الغربية وكان هدف الحملة الاعلامية هي حث الدول الافريقية على عدم الرضوخ للمطالب العربية والتي تنص على قطع العلاقات الافريقية مع « اسرائيل » مقابل المساعدات ....**

وهنا نقول ان تعزيز المصالح المشتركة بين الدول العربية والافريقية يجب أن لا يكون مجرد مساعدات تدفع على شكل فدية او كما سبق ثمن مواقف تشترى ويجب ان تكون المساعدات التي تدفع لها مردودا مناسبا وبالتالي لتحقق الهدف الرئيسي الذي قدمت من اجله وهو منع تسلل « اسرائيل » الى القارة الافريقية من خلال اقامة المشاريع الاقتصادية المثمرة لان تنصب هذه المساعدات في جيوب الغير وأن يكون التعاون العربي الافريقي في الاتجاه الذي يبني النظام الاقتصادي العالمي الجديد الذي يحقق استقلال الدول الافريقية وخروجها من قبضة الاحتكارات والشركات المتعددة الجنسية والتي أصبحت هي وسيلة الهيمنة والاستعمار الجديد والتي تجد « اسرائيل » فيها مكانها الطبيعي ويجب ان يكون هناك تنسيق مع الافارقة للاستفادة من هذه المساعدات العربية لبناء

قاعدة اقتصادية متينة غير قابلة للتصدع تحت اية ضغط خارجي والا اصبحنا نحن كعرب ندعم ودون ان ندري النفوذ الاستعماري المشار اليه وبالتالي ندعم « اسرائيل » وهذا ما يحدث في كثير من الحالات ...

العلاقات الافريقية الاسرائيلية من ١٩٦٧ – ١٩٧٣ :

بدات العلاقات الافريقية الاسرائيلية تدخل سنواتها القاحلة بسبب العدوان الصهيوني المباشر على الامة العربية في حزيران عام ١٩٦٧ ولرفض «اسرائيل» قرار الامم المتحدة الصادر في ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩٦٧ وللمعاملة البربرية التي اتبعتها «اسرائيل» ضد السكان العرب داخل الاراضي العربية المحتلة وامام ضغط الراي العام العالمي الذي بدا يطالب بضرورة حل عادل لقضية الشرق الاوسط ونظرا لتمتين علاقات « اسرائيل » النووية مع جمهورية جنوب افريقيا العنصرية امام كل هذه الاسباب مجتمعة بدات الدول الافريقية تعمل على تجميد علاقاتها مع الكيان الصهيوني في بداية الامر كما اتخذت منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٧ عددا من القرارات بحق « اسرائيل » والوقوف بجانب الحق العربي وتقديم المساعدات المادية والمعنوية للدول العربية الامر الذي اقلق « اسرائيل » نتيجة ذلك مما جعل ابا ايبان أن يعلن انذاك امام « الكنيست » بقوله « ان مواقف الدول الافريقية يجب ان لا تدفعنا الى قطع علاقاتنا معها بل يدعونا الى مزيد من الجهد في شرح وجهة نظرنا لهم ومحاولة اقناعهم بها » والجدير بالذكر هنا ان مؤتمرات القمة الافريقية كافة اجمعت على ضرورة انسحاب « اسرائيل » من الاراضي العربية المحتلة ورغم الجهود الدبلوماسية الافريقية التي صبت في هذا الاتجاه الا انها لم تحقق شيئا بسبب الموقف الاسرائيلي العدواني التوسعي .... وعلى اثر حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ حدث التغير الاكبر في الموقف الافريقي اذ اقدمت اغلب الدول الافريقية على قطع علاقاتها الدبلوماسية مع « اسرائيل » استجابة لقرار منظمة الوحدة الافريقية الذي جاء

احتجاجا على استمرار « اسرائيل » باحتلال الاراضي العربية والذي دعا ايضا الى تعزيز الاجراءات الفردية والجماعية المتخذة ضد « اسرائيل » والى الابقاء على قطع العلاقات معها حتى يتم انسحابها من جميع الاراضي العربية المحتلة . وهنا لابد من تأكيد حقيقة تاريخية وهي ان النشاطات الاقتصادية الاسرائيلية في بعض دول القارة التي تدور في فلك الامبريالية الامريكية لم تتأثر نتيجة قطع العلاقات الدبلوماسية بل ظلت هذه النشاطات قائمة وان قلت عما كانت عليه قبل القطيعة الدبلوماسية ولقد اتضح فيما بعد ان هذه الدول اقدمت على قطع علاقاتها الدبلوماسية مع « اسرائيل » لا على قناعة بل **« اذعانا للاتجاه العام الذي ساد منظمة الوحدة الافريقية وطمعا بالحصول على مكاسب ومساعدات مالية من دول النفط العربية التي وعدت بذلك »** في حين استمر التواجد الاسرائيلي في هذه الدول تحت بنود مختلفة وباشكال متنوعة علنية احيانا وشبه سرية احيانا اخرى وحسب صحيفة هتسوفية الاسرائيلية التي ذكرت في هذا الصدد « تمت المحافظة على العلاقات مع هذه الدول على الصعيد العسكري وفي المجالات الاخرى » ، وعلى اثر قطع العلاقات الافريقية الاسرائيلية بدات الجهود العربية انطلاقا من مؤتمر القمة العربي السادس المنعقد في الجزائر عام ١٩٧٣ تحث على زيادة التعاون الاقتصادي العربي الافريقي ووضع خطط استراتيجية لهذا التعاون على ضوء المواقف الايجابية التي اتخذتها غالبية الدول الافريقية اثناء وبعد حرب تشرين التحريرية . واستمرار التشاور على مختلف المستويات . وفي مؤتمر القمة العربي السابع اتخذت عدة قرارات تتعلق بالانشطة القائمة في اطار التعاون العربي - الافريقي . وهكذا سار النشاط العربي في افريقيا سيرا حسنا وان كان بطيئا وانحسر النشاط الاسرائيلي وان لم ينعدم محليا واشاد الزعماء الافارقة بهذه العلاقات العربية الافريقية ومنهم الرئيس الزائيري موبوتو الذي انقلب فيما بعد راسا على عقب .

ثغرة السادات واتفاقات كامب ديفيد :

لم تفقد « اسرائيل » الامل في اعادة علاقاتها مع دول القارة

الافريقية على رغم انحسار نفوذها ووجودها فيها عقب حرب تشرين التحريرية المجيدة وان بقيت بعض رموز العلاقات والاتصالات ما بين اسرائيل وبعض دول افريقية قائمة وهذا ما اشرت اليه في سياق الموضوع الامر الذي جعل امل « اسرائيل » يزداد خاصة وان التحرك الايجابي الكبير الذي حققه العرب بفضل قطع العلاقات الافريقية الاسرائيلية ما لبث ان تحول نتيجة خيانة السادات وتوقيعه صك الاستسلام عبر اتفاقات كامب ديفيد التي صاغتها امريكا و « اسرائيل » لتخرج مصر وقدراتها من الصف العربي الى خندق الاعداء ولتوجه لنضال العرب وتضحياتهم ضربات طاعنة وبالتالي لتحدث الوقع السيء على العلاقات العربية الافريقية وفك طوق العزلة التي فرضتها القارة الافريقية على العدو الصهيوني ، الامر الذي حدى ببعض الدول الافريقية المرتبطة بعلاقات وثيقة مع « اسرائيل » ان تفكر انطلاقا من بروز تيارات على الساحة الافريقية قائلة **« هل تريدوننا ان نكون ملكيين اكثر من الملك »** وطالما ان اكبر دولة عربية افريقية اقامت علاقات مع « اسرائيل » وفي الوقت نفسه أصبح مسموعا اكثر من اي وقت مضى صوت القائلين بضرورة جعل روابط العلاقات الافريقية الاسرائيلية حجر الاساس في السياسة الخارجية لدول القارة . خصوصا وان اتفاقات كامب ديفيد شجعت فكرة الانفتاح على « اسرائيل » وهذا ما اشارت اليه صحيفة هتسوفية الاسرائيلية عام ١٩٧٩ قائلة « ان النظام المصري سيقوم نتيجة توقيعه اتفاقات الكامب في غضون السنوات القادمة بدور منهم نيابة عن « اسرائيل » وبتشجيع من الولايات المتحدة الامريكية ودول الغرب في اعادة العلاقات الافريقية الاسرائيلية » . وهذا ما اكده بطرس غالي واشار اليه دانيال لاك المدير التنفيذي للفرع الاوروبي للمؤتمر الصهيوني في مذكرته التي قدمها للمؤتمر بتاريخ ١٤-٥-١٩٨٠ جاء فيها « بعد اتفاقات كامب ديفيد اصبحت الظروف مؤاتية لتقليص الفاعلية العربية في افريقيا كمقدمة لاعادة تطبيع العلاقات مع الدول التي قطعتها عام ١٩٧٣ » . وهنا لا بد من

الاشارة الى الدور الامريكي والامبريالي في اعادة العلاقات الافريقية الاسرائيلية اذ تشترط الولايات المتحدة الامريكية وفي كثير من الحالات اثناء تقديم المساعدات المالية والاقتصادية للبلدان الافريقية على ان تكون لهذه البلدان علاقات طيبة مع « اسرائيل » وعلى سبيل المثال اشترطت ادارة ريغان موافقتها ازاء تسديد زائير دينها للولايات المتحدة البالغ ـ٥ـ مليارات دولار باقامة علاقات دبلوماسية مع « اسرائيل » وهذا ماحصل في تاريخ ١٥ـ٥ـ١٩٨٢ من خلال زيارة رئيس زائير موبوتو « لاسرائيل » لاعادة العلاقات بينهما ـ كما اشترطت ادارة ريغان على ليبيريا لتقديم المساعدات المالية والعسكرية لها باعادة علاقاتها الدبلوماسية مع « اسرائيل » وبالاستناد الى هذا الدور الامريكي الامبريالي والصهيوني تحاول « اسرائيل » اقامة اللوبي الموالي لها في البلدان الافريقية لدفع هذه البلدان لاقامة علاقات رسمية معها وتعديل سياستها الخارجية تجاه « اسرائيل » والى جانب الضغوط الامريكية والنفوذ البريطاني المسيطر على دول الكومنولث والفرنسي المسيطر على مجموعة الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية لعبت الدبلوماسية الامريكية دورا كبيرا في اجبار الدول الافريقية على اقامة علاقات دبلوماسية مع « اسرائيل » وخير دليل على ذلك الكتاب الذي ارسله جون رانسي الذي كان يعمل في ذلك الوقت وزير دولة لشؤون الرئاسة الاميركية لنظام ليبيريا قال فيه « انه نظرا للسجل الاميركي السابق في دعم « اسرائيل » وبمعرفة دور اليهود في الشؤون السياسية والاقتصادية الاميركية ، فانني اعتقد ان استئناف العلاقات مع « اسرائيل » سوف يحقق لكم دعما كبيرا في الدوائر الامريكية » وفي ضوء ذلك اعتقد بعض الزعماء الافارقة ان اقامة علاقات مع « اسرائيل » يمكن ان يشكل ورقة ضغط على العرب لزيادة المساعدات المالية لهم .

وفي ختام دراستنا هذه نؤكد ان عودة النفوذ الاسرائيلي لافريقيا وتمتين هذا النفوذ هي مسألة بالغة الاهمية والخطورة فهي لاتتحدد

بمصير الصراع العربي الصهيوني فحسب ، بل وتؤثر ايضا على مستقبل العلاقات العربية الافريقية والاختيارات الموضوعية امام افريقيا خاصة وان « اسرائيل » تعمل على توثيق علاقاتها مع نظام جنوبي افريقيا العنصري وعلى الصعد كافة بما فيها الاسلحة النووية ، وارتباط ذلك كله بالخطة الكونية للامبريالية الامريكية وعلى هذا الاساس يصبح المطلوب من الامة العربية ان تضع استراتيجية موحدة تهدف الى تطوير العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية الشاملة مع البلدان الافريقية المعادية « لاسرائيل » والامبريالية ودعم الروابط النضالية بين حركة التحرر العربية والافريقية ، وان يصب التعاون العربي الافريقي في الاتجاه الذي يقود الى قيام النظام الاقتصادي العالمي الجديد والذي يحقق استقلال الدول الافريقية وبالتالي خروجها من قبضة الاحتكارات الامبريالية والشركات المتعددة الجنسية ... وعلى الامة العربية ان تستفيد من عضوية بعض الاقطار العربية في منظمة الوحدة الافريقية لصالح احياء الحوار العربي الافريقي الرامي الى تطوير العلاقات السياسية الاقتصادية الاجتماعية مع الدول الافريقية وبما يفضي الى انحسار النفوذ الصهيوني في افريقيا والقضاء عليه .

ان حزب البعث العربي الاشتراكي في المؤتمر القطري الثامن اكد ضرورة دعم وتطوير العلاقات مع الدول الافريقية وتعزيز جبهة التعاون والتحالف مع هذه الدول ، بما يؤدي الى تدعيم الجبهة العالمية ضد الصهيونية والاستعمار والتمييز العنصري ، والتصدي للضغوط التي تمارسها الولايات المتحدة من اجل اعادة العلاقات بين بعض دول القارة الافريقية ، والعدو الصهيوني وكذلك حث الدول العربية القادرة على تقديم الدعم والعون الاقتصادي للدول الافريقية .

انشطة ووثائق

منظمات الحزب القومية داخل الوطن العربي

القطر العربي السوري

الاول من ايار ..

● تحت رعاية الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب احتفلت طبقتنا العاملة وتنظيمها النقابي بعيد الاول من ايار عيد العمال العالمي ، وقد مثل الرفيق الامين العام للحزب في رعاية المهرجان الرفيق الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية ، وقد نقل الرفيق مشارقة الى جماهير الطبقة العاملة تحيات القائد الاسد القلبية وتقديره العالي لدورها الكبير في معركة البناء الداخلي ودورها المتميز سواء في العمل والسعي الجاد لبناء مجتمع التقدم والاشتراكية ام في النضال الدؤوب مع جماهيرنا الشعبية المكافحة الاخرى في مجال التصدي لاعداء الامة العربية من امبرياليين وصهاينة واحباط مخططاتهم التآمرية في الداخل والخارج .

واستعرض الرفيق مشارقة الانجازات والمكاسب الثورية الكبيرة التي تحققت للطبقة العاملة في ظل الحركة التصحيحية المباركة والاهتمام الذي يوليه الحزب وامينه العام الرفيق المناضل حافظ الاسد للكادحين ودورهم في مسيرة التقدم والاشتراكية واشار الى ان الوعي الوطني لدى جماهير طبقتنا العاملة كان حافزاً على مضاعفة الجهد ومواصلة العمل في رفع مردود الاداء وزيادة الانتاج وتحسين نوعيته والاسهام بفاعلية في تنفيذ خطط التنمية اعلاء لشأن الوطن وتعزيزاً لدوره وزيادة لفاعليته .

والقى الرفيق عز الدين ناصر عضو القيادة القطرية رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال كلمة أكد فيها أننا ومن موقع دورنا في العملية الانتاجية وفي تحقيق خطط التنمية مطالبون بتحقيق القيمة الانتاجية الحقيقية لكل عمل وبالقضاء الكلي على عوامل ومسببات التخلف والجمود والهدر في المواد والوقت .

واضاف الرفيق ناصر قائلا يجب ان نتوجه ونعمل سائر الجهات المسؤولة في القطاعات المنتجة والباحثة والمصنعة وفي جهات التصدير من اجل الانتقال الى موقع الفاعل في تصدير منتجاتنا ، اذ لا يجوز ان نستورد ولا نصدر ومسؤوليتكم ودوركم ايها الرفاق العمال في كل موقع انتاجي لا يعادله دور ولا يقف وجه تطوير هذا الدور اية متاعب او قيود .

السادس من ايار ..

● تمر السنون ويبقى السادس من ايار معلما بارزاً من معالم نضال امتنا ضد اعدائها ، ويبقى في الاذهان والنفوس يوما خالدا لما فيه من المعاني العظيمة والقدرة السامية وبما يمثل من الشموخ القومي والوحدة القومية والعزة في مواجهة الطغيان والطغاة .

وتتنامى الذكرى وتزداد عظمة السادس من ايار بتتابع قوافل الشهداء ويتعمق مغزاه بعد أن عظم معنى الشهادة واصبحت الشهادة قيمة القيم وذمة الذمم وعنوانا لنهج نضالي مظفر واصبح شعار قواتنا المسلحة الشهادة او النصر .

في ذكرى اكرم من في الدنيا وانبل بني البشر نقف خاشعين اجلالا لذكراهم مستلهمين من فعالهم التصميم على متابعة الطريق الذي ساروا عليه والعزم على مواصلة النضال الذي كانوا قرابين طاهرة على دربه المؤدي الى النصر . ومن أحرص على تكريم الشهداء في يومهم من راعي الشهادة الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب الذي رسخ معنى الشهادة واولى اسر الشهداء رعاية الاب القائد والمناضل .

وفي السادس من ايار توجه الرفيق الامين العام للحزب الى مقبرة الشهداء في نجها ليقوم بواجب تكريم ارواحهم . كما احاط الرفيق المناضل حافظ الاسد أبناء وبنات الشهداء في يوم الشهادة والشهيد بعطفه وحبه وحنانه في مادبة اقامها في نادي الضباط تكريما للشهداء في عيدهم وللشهادة في يومها وتعبيرا عن احترام وتقدير الوطن لاولئك الابطال الذين فدوا امتهم ووطنهم وقدموا ارواحهم ودماءهم ذودا عن الارض ودفاعا عن الحقوق والكرامة ومشاعل تضيء طريق الاجيال الى النصر .

القطر اللبناني

● شيعت مدينة طرابلس في حزيران الشهيد رشيد كرامي ، وقد مثل الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب وفد حكومي برئاسة الرفيق عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية وقد صرح الرفيق خدام في طرابلس فقال: ان الكشف عن الجناة والمجرمين والمستفيدين من الاغتيال هو الامر الاول ، ويأتي في الدرجة الاولى قبل الانتقال الى اية خطوة لاحقة ، ولا يجوز تجاهل الفاعل والسكوت عن الذي جرى ، فالمطلوب تحديد المسؤول عن اغتيال الرئيس كرامي ، فدمه لن يذهب هدراً ، ان سورية لن تفرط بدم كرامي وان اغتيال كرامي يعني لا حصانة ولا حماية لاحد مهما كانت اهميته ، فكل شعرة منه تساوي الحكم بكامله . وان سورية ستستمر بتقديم كل جهودها وامكاناتها للدفاع عن لبنان والنهج الوطني والقومي الذي يمثله كرامي باعتباره النهج الذي يعبر عن آمال اللبنانيين وانها ستقف بصلابة الى جانب شعب لبنان وكل المناضلين من ابنائه حتى يتم الخلاص ويعود لبنان مستقلا موحداً عربي الانتماء .

لقد احدث استشهاد كرامي دويا يشبه الزلزال داخل لبنان وخارجه ، وما زالت الجريمة النكراء التي ارتكبها المتآمرون على لبنان والعرب باغتيالهم كرامي ، وقد احدثت نتائج وتفاعلات استأثرت بالموقف العام على الساحة اللبنانية بشكل خاص وعلى الساحتين العربية والدولية بشكل عام ولاقت الادانة والشجب والاستنكار ، واعلن رئيس وزراء لبنان بالوكالة السيد سليم الحص انه سيسير امور الحكومة دون أن تجتمع مع بقاء المقاطعة لرئيس الجمهورية وسيعطي الاولوية في عمله لمتابعة التحقيق بمقتل الرئيس كرامي للكشف عن هم وراء الجريمة وادواتها باعتبارها تستهدف تمزيق لبنان واحباط مساعي الوفاق والحل الوطني .

هذا وعقدت القيادة القطرية لمنظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر اللبناني اجتماعا طارئا استمعت الى شرح مفصل للاوضاع الراهنة على ساحة العمل الوطني ، وقد اكد الرفيق الامين القطري للمنظمة ان ولادة الجبهة الداخلية اصبحت وشيكة وان كل الاطراف ابدت تجاوبا كبيرا ، كما ان الاجتماعات واللقاءات في دمشق ساهمت بصورة فعالة في خلق الاجواء الايجابية لولادة الجبهة الوطنية التي تجسد ارادة الاكثرية الساحقة من اللبنانيين لتحقيق وحدة لبنان .

كما تابعت القيادة سير التحقيقات الجارية للكشف عن المجرمين من ادوات ومحرضين قتلة الشهيد كرامي وطالبت بضرورة الاسراع وتحديد الجهة السياسية التي تقف وراء هذه الجريمة الشنعاء التي لم تستهدف حياة وجسد كرامي فحسب ، بل استهدفت القيم والقضايا التي ناضل من اجلها .

وناقشت ايضا الوضع في الجنوب اللبناني والابعاد الخطرة للاعتداءات

اليومية من قبل اسرائيل وعملائها ضد قرى وبلدان الجنوب ، واشادت ببطولات رجال المقاومة الوطنية الذين ينزلون بالعدو وعملائه افدح الخسائر البشرية والمادية.

القطر السوداني

● احتفلت منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر السوداني في مقرها بالذكرى الاربعين لتاسيس الحزب ، والذكرى الثانية للانتفاضة الشعبية ضد حكم العميل جعفر نميري ، وقد حضر الاحتفال الجماهيري احزاب الجبهة الوطنية التقدمية واحزاب اخرى ، وممثلون عن الثورة الفلسطينية وحركة فتح (المجلس الثوري) ، وحركات التحرير الارترية .

وقد القى الرفيق نجاتي مصطفى امين منظمة الحزب في القطر السوداني كلمة في الاحتفال قال فيها : لقد تزامن احتفالنا بذكرى تاسيس حزبنا العظيم بالذكرى الثانية للانتفاضة الخالدة ، وان جماهير امتنا العربية والرفاق البعثيين على امتداد الوطن العربي يأتي احتفالهم بذكرى تاسيس حزبهم ضمن اطار التقدير للدور العظيم الذي يقام به الحزب منذ نشأته وحتى الان في النضال من اجل القضايا القومية .

لقد جاء تاسيس الحزب بداية لمرحلة جديدة استطاع الحزب لاول مرة على صعيد الفكر العربي المعاصر ان يعطي مفهوما متقدما للقومية العربية تجاوز فيه جوانب النقص والتخلف والتعصب في المفاهيم البورجوازية الصغيرة للقومية التي كانت تعزلها عن الاشتراكية وعن المحتوى الطبقي لها حيث اكد الحزب على تلازم النضال القومي والنضال الاشتراكي .

وقال ان حزبنا الان يتحمل عبء التصدي والمواجهة للامبريالية والصهيونية بعزيمة لاتعرف الخوف او التراجع ، وكان على الصعيد الداخلي قد حقق بحركة ٢٣ شباط عزل العناصر اليمينية المنحرفة التي ارادت ان تحول حركة البعث الى حركة اصلاحية محدودة ، ولكن الحركة التصحيحية في السادس عشر من تشرين الثاني كانت بداية مرحلة نضالية جديدة خاض الحزب فيها معارك البناء التنموي الاقتصادي والاجتماعي ومواصلة الاعداد العسكري وصولا الى التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني ، وان ذكرى تاسيس الحزب تاتي في ظروف بالغة الاهمية ، حيث تتصاعد الحملة الامبريالية الامريكية الصهيونية الرجعية الشرسة على امتنا بشكل عام وعلى فصائل وقوى التحرر العربية .

وقال الرفيق امين المنظمة حول الذكرى الثانية للانتفاضة الشعبية ، ان اسقاط الطاغية النميري ودحر نظامه لم يكن يعني بالنسبة لنا نهاية المعركة ، بل يعني بداية معركة شرسة لاستكمال المهام واصلاح الاعوجاج ومعالجة الدمار الشامل

والتركة المثقلة والتصدي للقوى التي اضيرت مصالحها من جراء سقوط النظام .

وقال ان المرحلة التي تمر بها بلادنا مرحلة دقيقة الامر الذي يقتضي تلاحم القوى الوطنية والتقدمية من اجل تنظيم الجماهير وتعبئتها لتضطلع بمسؤولياتها في الحفاظ على مكتسبات الانتفاضة من اجل بناء السودان الجديد ، السودان الفاعل في محيطه العربي والافريقي والمجتمع الدولي .

وفي ذكرى الانتفاضة اصدرت الجبهة الوطنية التقدمية بيانا اكدت فيه مواصلة النضال من اجل تأجيج نار الانتفاضة وكشف محاولات القوى الامبريالية والرجعية التي حاولت التآمر على الانتفاضة في لحظاتها الاولى ومازالت تحاول ، ولكن جماهير الشعب السوداني ستناضل حتى تحقق كل شعاراتها وستبدد احلام القوى الامبريالية والرجعية .

● الخرطوم ـ اقدم ازلام نظام صدام الفاشي في مطلع شهر حزيران على ارتكاب جريمة اغتيال الطالب السوداني الطيب الامين الذي يدرس في جامعة الموصل واعتقال عدد من الطلبة السودانيين ، وقد ترتب على ذلك العمل الوحشي انسحاب عدد كبير من الطلبة الدارسين في العراق احتجاجا على جريمة الاغتيال وحملات الارهاب التي يتعرض لها طلبة السودان على ايدي عملاء النظام .

هذا وقد قدم الطلاب السودانيين الدارسين بجامعتي الموصل واربيل البالغ عددهم ما يقارب الـ ۲۰۰ طالب استقالاتهم من الدراسة وعاد معظمهم الى الخرطوم خوفا من تهديدات لهم بالقتل ، وصرحوا فور عودتهم انهم لن يعودوا الى الدراسة في العراق حتى لو توصلت وزارة التربية في السودان الى اتفاقات مع سلطات النظام العراقي لضمان امنهم .

وقد ندت المنظمات الطلابية في السودان بالعنف السياسي الذي يمارسه النظام الفاشي في العراق وطالبوا بالتحقيق في الحادث ، كما اصدر مكتب الطلاب المركزي لحزب البعث العربي الاشتراكي بيانا استنكر فيه حادث الاغتيال ، ونددت ايضا رابطة خريجي الجامعات والمعاهد العراقية في السودان بممارسات النظام الفاشي ضد الطلاب السودانيين .

كما شجب وادان مؤتمر الطلاب المستقلين والجامعات والمعاهد العليا والثانويات في السودان الحملة التصفوية للطلاب المستقلين بالعراق بواسطة ما يسمى بجبهة كفاح الطلبة ، وقال ان هذه الجبهة الصورية التي اقامها النظام العراقي هي الوجه المستتر للنظام لتصفية كل من يعارضها وان حملتها التصفوية تدل على البربرية ، وطالب المؤتمر مجلس الوزراء والمجلس القومي للتعليم العالي ووزارة الخارجية في السودان بالتدخل وتقنين المنح الدراسية المقدمة من الدول

كما دعا الاتحادات والنقابات والاحزاب وكل الفعاليات السياسية الى ضرورة التصدي الحاسم لهذه الممارسات من قبل النظام الفاشي العراقي .

القطر الموريتاني

● في الذكرى الاربعين لتأسيس الحزب اصدرت منظمة الحزب في القطر الموريتاني بيانا استعرضت فيه مواقف الحزب على الصعيد القومي وخاصة موقفه من اتفاقية كامب ديفيد الخيانية وماتولد عنها من فروع كالحرب العراقية ـ الايرانية والاجتياح الصهيوني للبنان واتفاق السابع عشر من ايار والمؤتمر الصهيوني في الرباط وزيارة الارهابي بيريز لنظيره الحسن الثاني وكذلك الوقوف الى جانب الفصائل الفلسطينية الرافضة للخط الاستسلامي والمتمسكة بالحقوق الثابتة والمشروعة للشعب العربي الفلسطيني .

وقال البيان أن كل هذه المواقف وغيرها دليل على ان قيادة حزبنا تقف وحيدة في وجه اعداء الامة العربية في الوقت الذي تتآمر فيه الرجعية العميلة ضد مستقبل هذه الامة وحزبنا الذي بدا نضاله من القاعدة ويتمتع بايمان مطلق بان الامة العربية بجماهيرها المناضلة وبطلائعها الثورية سوف تنتصر على كل الرجعيات وعلى الاستعمار والصهيونية .

منظمات الحزب القومية خارج الوطن العربي

منظمة فرنسا :

● اقامت قيادة منظمة الحزب في فرنسا احتفالا بمناسبة الذكرى الاربعين لتأسيس الحزب وذلك في المركز الثقافي العربي في باريس ، وقد القيت في الحفل الكلمات التالية :

١ ـ كلمة الاتحاد الوطني لطلبة سورية القاها الرفيق مسؤول الطلاب ورئيس المكتب الاداري ، ٢ ـ السيد بترلان رئيس جمعية التضامن العربي الفرنسي ، ٣ ـ الاحزاب الشيوعية العربية القاها اديب ديمتري ، ٤ ـ الحركة الوطنية اللبنانية القاها السيد وليد الغريبة، ٥ ـ تجمع القوى الوطنية والتقدمية العربية في فرنسا القاها السيد العثماني ممثل منظمة العمل الديمقراطي الشعبي في المغرب، ٦ ـ كلمة المقاومة الفلسطينية القاها السيد توفيق جراد ، كلمة السفارة السورية في باريس القاها الرفيق السفير حنين حاتم ، وكانت كلمة الختام للرفيق امين منظمة الحزب .

وكانت قيادة المنظمة بالتنسيق مع تجمع القوى التقدمية والوطنية الفرنسية قد اقامت في نهاية شهر اذار مهرجانا بمناسبة اقامة اسبوع لدعم صمود الجنوب

اللبناني حضره ممثل الجامعة العربية في باريس ، القيت فيه كلمات المنظمات الطلابية العربية ، مؤتمر الشعب العربي ، الجامعة العربية ، تجمع القوى الوطنية والتقدمية ، الاحزاب الشيوعية العربية ، الحركة الوطنية اللبنانية منظمة الحزب بفرنسا .

منظمة يوغسلافيا :

● صدر العدد ٥٠١ من نشرة (شباب البعث) التي تصدرها منظمة يوغسلافيا لحزب البعث العربي الاشتراكي وقد تضمنت النشرة المواضيع التالية :

الافتتاحية تحدثت عن نتائج زيارة الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب للاتحاد السوفياتي ومحادثاته مع الرفيق غورباتشيف التي جاءت تعبيرا عن علاقات الصداقة والتعاون الراسخة والمتطورة بين البلدين الصديقين ، كماشكلت الزيارة دعما للنضال العربي التحرري ، ونشرت النص الكامل للاعلان السوري الصادر عن الزيارة : تضمنت النشرة ابحاثا عن : السادس من أيار المنعطف الحاسم في تاريخ المسيرة النضالية العربية من اجل الحرية والاستقلال ـ تصاعد نوعي في عمليات المقاومة اللبنانية ضد العدو الصهيوني .. مستلزمات السلام العادل الاول من ايار يوم التضامن العمالي العالمي . بالاضافة الى مواضيع اخرى .

منظمة تشيلي :

● اصدرت منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في تشيلي نشرة باللغتين العربية والافرنسية بمناسبة ذكرى تاسيس الحزب والسابع عشر من نيسان استعرضت النشرة الانجازات الكبيرة التي تحققت على الصعيدين المحلي والعربي، وان حزبنا يعمل على بلورة اهداف الجماهير العربية وعلى صياغة اهدافها وتطلعاتها تحت شعارالوحدة والحرية والاشتراكيةوقالت ان مستقبل الشعبالعربي كلداسبع متعلقا بالموقف السوري الصامد العازم على الاستمرار في مواجهة التامر والتخاذل والتحديات ، وان سورية البعث هي ثورة على الواقع العربي المجزا ، ثورة على الواقع العربي الذي تمتد اليه الايدي الامبريالية والصهيونية ، ثورة بوجه جميع الثقافيات التخاذل وايديولوجيات الاستسلام ، وان سورية الثورة التي ابت الا ان تكون بموضع القلب النابض للشعب العربي اعلنت وبصوت جهوري ، ان الشجاعة هي الحياة فاما النصر او الشهادة وكما قال الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب اننا مصممون على قهر التحديات وقرارنا هو الانتصار . وثورتنا مستمرة معركة امينة لاهدافها الاستراتيجية .